صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية ادبية شهرية

دمشق ص . ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

العدد الخامس
(ايلول) ١٩٥٨
السنة الاولى

تحية الى العراق

بغداد :

طال انتظارك يابغداد ، حتى حسبنا ان الغائب لن يعود والشهيد لن يستيقظ والدم الذي سقيت به وورود الحرية ، ذهب هدرا في التراب الجاحد ..

طال ارتقابك ، وترقب فجرك يابغداد .. حتى قيل انطفأ الفجر ، وانكفأ النور ، واستقر النصل في الصدأ الجامد حتى غدا الفولاذ صد اكله ، فأين بغداد الف وتسعمائة وعشرين في الثورة الاولى على الاحتلال البريطاني ؟ وأين بغداد الف وتسعمائة وواحد واربعين ؟! في الثورة الثانية على الظلم البريطاني .

اين الموجات الشعبية الجبارة التي ملأت بغداد ، يوم رشيد عالي ، اين تلك العواصف المزمجرة التي تمردت على الحرب العالمية الثانية ابان احتدامها ، فكادت تحطم موازين الحروب ؟ أين ذاك الطموح الثوري ، الموجه الى الاحتلال والاستعمار في صاروخ من الحقد والانتقام ، تهلع لدويه قلوب الرؤوس والاذناب ، ويوصف بالجنون ، تمجيداً له لا تحقيرا ، وتعظيما لقوته لا تصغيرا لشأنه . اين باتت ريح ذاك الجنون العراقي ، الذي يطيح بهامات العقلاء ، والحكماء ، والمخدرين ، والضعيفة قلوبهم والهزيلة عقولهم ، والمشلولة اذرعهم ، وكل من ولي الامر ، وقبض الاجر ، واستكان للبلهاء ، والاجراء ، والامراء ، وخبراء الفساد ، ووسطاء الخير ، وانصار التعقل والرزانة والخيانة ؟

كنا نتساءل ، اين المقاومة واين النضال ؟ اين التظاهرات المحمومة التي تسمونها ياأهل بغداد ، (هوسة) .. واين الاهازيج الصارخة بالكلمات المهيجة التي تسمونها ردة ؟

ماذا جرى لتلاميذ الشباب ، شباب الفتوة في بغداد ، يدفعونني امامهم في هوسة الثورة ، ثورة رشيد عالي وهم يهزجون ويرددون :

واجد نتذلل يازينا
وعالموت ودوك اعرض بينا
كفانا تذللا .. وادفعوا
بنا للموت !!

اين تلك الاصوات المجموعة في كورس من شباب الفتوة المسلحين يبلغون بحماستهم مدارج الافلاك وهم يهزجون :

عيناك وعلى الطوب ركيني   عفت الروح فلا تحكيني
قول لأمي لاتبكيني   فالموت اولنا وتالينا

وينتفضون مهددين بقبضاتهم مرددين :

ياموت انقذني من الذلة   والموت مانبكي مأجله
وياقايد دفا لسيفك سله   وعالموت ودوك اعرض بينا

لقد طال انتظارك وانتظارنا يابغداد ، حسبنا ان الغائب لن يعود ، والشهيد لن يستيقظ ، والدم الذي ذرفته ارواح المجاهدين ، قد ذهب في الارض الجاحدة ، كدماء الحيوانات في سلخانة المدينة ، هدرا في البلاليع ..!

وكنا نتصفح تلك الوجوه السمراء عندما تصبح بيننا في دمشق متسائلين :

وماذا جرى لبغداد ..! ويكاد يكون الجواب الحزين دائما : نوري السعيد وعبد الاله .!

ونتعلق بصديق شنشل ، عندما يهبط دمشق بين الشهور والشهور هاربا من السجن الكبير ، ومفتشا في هذه الربوع عن رجاء يشد به عزيمته ، ويهدهد به لنوازع ثورته ، ونسأله : يامدير الدعاية والاذاعة في ثورة رشيد عالي ..! أين العراق .. واين عرب العراق .. هل ترحلوا عن الديار ، فلم يبق فيها سوى الضفادع والغربان ، وطيور النحس ؟! ويتحدث شنشل المناضل المؤمن ، ووراءه سبعة عشر عاما من فترة سوداء ، زجها في مقاومة الفجار الطغاة ، هادرا شبابه في معركة اليأس سجينا ،

بقلم : فؤاد الشايب

طريدا ، شريدا ونفهم من حديثه العنيف ، ومن الشيب في رأسه ، والاسى في قسمات وجهه ، ان جوابه هو جواب الملايين في العراق : .. العرش .. عبد الله .. نوري السعيد ؟!

وكانت هذه الاسماء الحادة ، تحز في حلوق الناس وهي تهبط اليها من مسامعهم ، كشيء من شفرات الحلاقة وقطع الزجاج ، فكأنهم لايعيشون الا ليزدردوا الشوك ، ويغمضوا على القذى ، ويناموا على العذاب والذل والهوان ؟! فالى اي مدى تستطيع الروح العربية المعذبة في العراق ، ان تمضغ المر وتصبر على الضيم ، صبرا طويلا ثقيلا طوله في مدى الزمان سبعة عشر عاما . وهل نفدت في هذه الروح عناصر الطينة العربية بل اين في هذه الروح ، كرامة الانسان العربي الذي برأه الله منذ وزعه تحت الشمس في صحراوات الشرق ، رائدا حرا ، ابيا ، طموحا مقداما ، وعندما اذن الله فانزل في ارضه ولغته قرآنا عربيا مبينا ، رسخت في اعماقه الى الابد ، اعرق صفات الانسان الحر المؤمن ، يحمل الرسالة ويؤدي الامانة ، ويكرم المبادىء ، ويعمل اذ يعمل ابتغاء وجه الله والحق ، لايلوى ولا ينكص ولايداخله ريب ، ولاخشى في سبيل الله والحق اثم آثم ، ولالوم لائم !

وبغتة يابغداد ، دوى الرعد ، فانشق حجاب الظلام ، وطاردت الرياح دجنة الغيوم ، فاذا بالدنيا صحو ونور ، واذا بالسماء سماء بغداد ، واذا بالارض ارضها ، والاهل اهلها ، والكل خلق عربي قويم ، لقد حدث ذلك بسهولة من يمسح بكفه لوحا اسود كتبت عليه حروف من تراب وهباء ! وكان الصبر الكبير جديرا بأن يحياه الانسان ليشاهد انفجاره الاكبر .

وفجأة ، يابغداد ، طرق المخاض بطن الجبل فاهتزت جذوره ونواصيه وخرج البركان من اعماق الارض جبارا رهيبا . وكان الذين يبنون اعشاشهم واحابيل عناكبهم في فوهة الجبل البركاني اول ضحايا التفجر الساحق ، لان المستهترين الذين يحاولون ان ان يستروا بمؤخراتهم الغليظة مكامن النار ، هلاكا بها يهلكون وماأردنا ان نصدق قبل اليوم ، ولن نصدق ابدا بأن الرافعين العرش على قمة البركان يمكن ان يستقر لهم عرش ، والباسطين الحكم بين فكي الاسد ، يمكن ان يستقر لهم عرش .

وعندما طالبت الجماهير بجثة الوصي الرجيم ، لتجرها في شوارع العاصمة الظافرة ، لم يكن الوصي ميتا منذ ساعات ، بل هو ميت في حياة الشعب منذ اعوام واعوام . ولم تكن منيته هي التي تأخرت ، بل ان الذي قد تأخر ، هو ظهور الموجة الجارفة التي تستطيع ان تقذف جثث الهالكين من قاع الخضم المحشور الى شاطىء الواقع المنبسط . وما الشيء الساقط الذي تداولته نعال الشعب ، في شوارع العاصمة المتمردة ، سوى حثالة روح ، وصورة نفس هالكة قديما . بل الشيء الذي صنعته كف الثورة ، انها اخرجت الجثة البالية من القصر الملكي ، وفتحت نوافذه للشمس !!

ولا اذكرك يافيصل ، لان الثورة لم تذكرك في وقائع الرابع عشر من تموز ، سوى انك شبح ملك ، اراده الشعب ذات يوم ملكا عربيا ، فلم يكن سوى هامة للتاج الانكليزي في ارض العرب . واما الذي صنعته الثورة فهو انها اطلقت سراحك حرا ، حرا من قبضة الخيانة ، وتجار الرقيق الذين ارادوا ان يعدو من شيئك المزيل رأس رمح يمزق به وحدة العرب ، وحرية العرب . وكفى الثورة بتحريرك من حياة العبيد احسانا لنفسك ، ولشعبك .

وفي جارف العاصفة المقدسة يابغداد ، طفر نوري السعيد من وكر الثعالب هاربا الى النجـاة وليس في جراب عمره المهتري سوى بضعة اعوام عجفاء ، يقرع بعضها بعضا كقشور جوزات فارغة . ! مـاذا عساه ان يفعل العجوز المرذول ، بهذه القشور التافهة في جراب البقية من حياتـه ؟! واين يهرب بها . ولماذا يحاول الهرب ؟! يقيننا ان الذي دفع به الى النجاة ليس حب الحياة لزاما . انه اشد من عرفته الحياة عدوا لهـا وعدوا لنفسه : بل انه قد هرب بدافـع حب الحكم وشهوة الانتقام من شعب العراق ، وشهوة التسلط على العرب بجراب الانكليز فغدت شهواته مع الادمان الحقير عقيـدة ومبدأ وديانة . ولو انه ترك العراق وراءه حجراً على حجر . وخرابا على خراب ، ونجا بنفسه الحقيرة لصاح من أي مزبلة في جوار العاصمة البريطانيـة : انا حاكم العراق الشرعي . ! انا رئيس الوزراء الدستوري .

في سبيل تلك الشهوة الاثيمة ، كان غداة الثورة المطهرة ، يزحف على بطنـه الى النجاة ، بثيـاب امرأة ، وعيون الشعب ترقب منافذ الوحش الذي رصدت الثورة عشرة الاف دينار ثمنا لرأسه . وليس رأسه يساوي فلسا واحدا من دينار واحد . ولوطلب تسليم رأسه بفلس لكان المتزاحمون عليـه كثيرين .

البقية على الصفحة (٤٧)

مولد المجد

للشاعر : نديم محمد

من قال سلم أبيض . كذب   سلم دم ، ومحبـــة لهب
لبنان ترب الخلد يشخنه   بجراحـــه مستأسد كلب
والورد في اعراس بهجته   فوق الجراح مدامع تثب
والارز أغرق ظله شرر   فجهنم في الارز تنسكب
ليل على الحسرات منسدل   وضحى على الاشلاء منسحب
والافق ملحمة فعاصفة   مجتاحة وصواعق سرب
والارض هدر زلازل وصدى   وزماجر هوجاء تحترب
فالجفن اين هوى رأى كبداً   مصروعة في النـــار تنقلب
وترائباً مزقاً معفرة   تلهو بها ريح وتضطرب
فشتيتها بالكف تجمعه   ولميمها بالزند ينعصب
سفاح لبنان اشتعل ظمأً   واشرب فدونك مورد عجب
هذا النجيع السمح تغرقه   وتسيحه الاوهاد والهضب
أضرمتها حمراء لاهبة   يصلى بجر ضرامها العرب
هم لوّنوا خديك من دمهم   هم كحلوا عينيك ، هم خضبوا
هم عطروا كفيك هم فرشوا   بالزهر دربك ، هم به ركبوا
هم وسدوك العرش هم نصبوا   في الشهب رأسك أيها الذنب
شمعون هـــذا التاج منعفر   والعرش عرشك في غد خرب
الشعب مالكه وسيده   والعبد لا ملك ولا حسب
لبنان يا همر الندى رغـــداً   ولك الهوى تختار أو تهب
في كل عارية وكاسية   عن جانبيك تناثر الذهب
ما غاب عن لبنان سامره   ولا سلا عرزاله القصب
ما غار في لبنـان سلسله   ولا اختفى من كرمه العنب
ما زاغ عنه العطر ، ماخرست   أطيـاره ، ما جفت السحب
ماذا جنى لبنـان فانعفرت   بدمائه أبراده القشب
ماضر مورقه ومزهره   لو عاش في مغناهما الطرب
لو ساد فيه الحق لو جليت   عن أرضه الاهوال والكرب
لو ضمّ أدناه وأبعده   الجامعان ، الشمل والنسب
أيخونه والٍ ويرهقه   حام ولا عذر ولا سبب
أيذله من بعد عزته   عبد ، وفيه السادة النجب
لا .. ان صيحته مدوية   في الافق تعصف حولها الشهب
لا .. ان وثبته محلقة   فوق النجوم ترفهـــا القضب
وغداً يزين النصر غرته   والغار حول جبينه عصب

المارد العربي لاهذر   يثنيه في أمر ولا جلب
عين بضوء العين مبصرة   يقظى وقلب عاطف حدب
واذا مشى بالغصب مقتدر   ومشى له فالغصب مغتصب
ري لوارد سلمـــه ودم   في الحرب توشف ويه الكثب
هي غضبة الاحرار اضرمهـا   ظلم واضرى حرهـا سغب
حردت على الاغلال فانقصفت   اغلالهم وتحطمت نصـــب
تغلي على الجـــبار ثورتهم   هـــدارة في الجو تصطخب
قالوا فلا زور ولاكذب   ومشوا فلا هون ولاتعب
توحيدهم في امـــة هدف   غـــال ونصرة حقهم أرب
سرنـا فما زلت بنـا قـــدم   سرنـا فما الوى بنـــا لغب
المجـــد من اطيابنـا عبق   والنصر من اسمائنـــا لقب
من روعة الساحات وحدتنا   والى مضـــاء العزم تنتسب
وحدودنا كل فلا شعث   فيهـــا ولا ثلم ولا شعب
وتراثنـــا حق فلا طمع   يجدي ولا ختل ولا نشب
لاتبدهوا بالريح شعلتنــــا   فدماؤنا وهج بها صبب
انا حملناهـــا مضوئة   لم تلوها الظلمات والحجب
العزم الهبهـــا ومن بردى   والنيل مايسقى بـه اللهب
انا تحـــدينا تنمركم   فاذا وعيتم وثبـــة فثبوا
بغداد يومك مقبل عجل   يحدو خطاه معجلا غضب
رقصت بـــه مهج مخيرة   فانشق عنها عسكر لجب
يهوى فلا والحسن مالحت   عين بأجمل منه يختلب
فيكب للخـــدين طاغية   متجبراً في العرش ينتصب
ويرده للوحل عارية   فالوحـــل ام برة وأب
فالتاج في كف التراب فم   تلهو به قـــدم فينتحب
والساجدون لربه . ورأت   عيناي كيف بكاسه شربوا
لم يغنه ملك ولاحشم   او ينجه من مأزق هرب
كم عابد صنماً تخطفه   شر ودق ضلوعه حرب
مافخره عظماً على خشب   والاحقران العظم والخشب
كم لاعب بالجمر يلذعـــه   بسعيره جمـــر فيلتهب
عري السيوف ولينها كرما   لهما بمورد ساحها الغلب

* * *

ماهذه النجمات يحضنها   ويلمها في صـــدره علم

علم اذا رفت جوانحه   في ساحة رجفت لها قمم
هز العراق الجرح فاندفقت   من جرحه حمم وفار دم
فتوهجت من حره شعل   فتمزقت بلهيبها ظلم
فاذا الكهوف منائر شمخت   واذا القيود بأرضها حطم
فتنفست بغداد راضية   فالجرح بعد الثار ملتئم
وازينت بحلى الفخار ذرى   وتبرجت بسنا العلا أكم
لاتاج يملا ربه سفهـا   فيضله ، لاسوط ينتقم
لاقصر بعد اليوم يعمره   اثم فكل بلادنا حرم
الليل خافي الضوء مؤتزر   بالصمت اسكر هدبه حلم
يطوى حناياه على نفر   ماضل مسراهم وما وهموا
وثبوا فلا الاسوار مانعة   منهم ولا الحراس والخدم
قحموا على الطغيان معقله   ارأيت كيف الاسد تقتحم
ويهل فجر ناعم ألق   بشذى بوف عبيرة النسم
هتفت اه الدنيا مصفقة   وجرى وصفق يضحك الالم
فجر الاخاء الحر نضره   عهد واغلت حسنه ذمم
شعب وجيش راحة ويد   حيناً ، وحينا مقلة وفم
شب الزمان وطال ساعده   ومشي بثوب المارد العظم
وتهدد التيار فازدحمت   وتكشفت عن دربه الرمم
ان السيرل أحب غضبتها   حمراء تخضب حولها اللمم
لايشرب الكدراء مغترف   ومن المياه السائغ الشبم
ما أمر هذا الغرب يصبحنا   بزحوفه بالشر يحتدم
بمدافع هوج مدمرة   بقذائف بالنار تضطرم
إنا له حرباً اذاحميت   واذا يشاء فسلمنا أمم
عرب شمائلنا معرفة   حرص على الارواح أو كرم
نبني فنعلي بين أعيننا   واذا نقول تصاغت الامم
ويزين جلانا ويفتنها   كبراً ويزهي مجدنا قلم
الفكر باني الملك مرقصة   بتراء أو معذوذب نغم
والفكر هادم كل شامخة   نكراء يجثم فوقها صنم

* * *

لمن الخيول الشقر مسرجة   بالساح في افواهها اللجم
لمن السيوف البيض مرهفة   لمن القنا كالموج يلتطم
لمن السرايا والبنود لمن   تزجى الصفوف وتسعر الهمم
للبحر يوقد غوره شرر   للجو تمعر صدره حمم
للأرض ينزفها الحديد دماً   للموت يستشري ويخترم
لمسوخ أمريكا لعزوتهم   للحلف ، للأجراء لو علموا
للقوم أعداء الشعوب لمن   خانوا ، لمن غدروا لمن ظلموا
وعلى الثنايا الخضر أسمرنا   فاذا أشار تلفت الهرم
والمفرق الزهوان يضفره   غار عليه النجم يبتسم
أخذت بقطف المجد راحته   يجني ويعطينا فنقتسم
يا أسمر الجلى . سواعدنا   مامسها ضعف ولا سقم
ريانة الاعواد فارعة   ماشجها ريح ولاورم
سمر صحاح الثبت ماضية   لا كالشغار البيض تنثلم
فازحم بها الظلمات ان لها   وهجاً كما يتوهج الضرم
ملك النسور الأفق لو علمت   وغدا ستعلم ذلك الرخم
زحف تقدسه الحياة ولا   خوف يرد الزحف أو ندم

نديم محمد

«(خصائص الحركة القومية العربية)»

ان جوهر البحث العلمي هو «التحليل الملموس لوضع ملموس» لذا كانت ملاحظة خصائص المكان وانسياب الزمان من اولى بديهيات البحث في العلوم الاجتماعية .

ولكي نتجنب التجريد النظري والتعميم الميكانيكي عند بحث قضايا القومية العربية ، ينبغي ان ندرس تطور شعبنا العربي كما يجري في الواقع الملموس .

ان الانسانية تسير في خط تطوري صاعد ، هذا امر لا شك فيه ، الا ان مجاري تطور الامم ليست متماثلة ، ولا تمر عبر مجرى واحد محدد .

ولكي تتضح القضية في ذهن القارىء . سأعرض بسرعة وايجاز تطور بعض الامم الاوربية ، ثم اعرض تطور الامة العربية ، كي نستطيع استخلاص بعض خصائص الحركة القومية العربية .

— ١ —

آ - في العهد الاقطاعي كان كل بلد مقسماً الى اقطاعات او امارات تكاد تكون مغلقة ، تكفي نفسها بنفسها من مختلف النواحي ، وبصورة خاصة من الناحية الاقتصادية . كانت تلك الامم تعيش في مرحلة « جنينيه » .

ب - جاء تطور الاقتصاد الرأسمالي ليحطم هذه الحواجز الاقطاعية بانشائه سوقاً وطنية واحدة واقتصاداً قومياً يحل محل المراكز الاقتصادية المبعثرة في النظام الاقطاعي . حقاً كانت «السوق المدرسة التي تعلمت منها البرجوازية القومية»

ح - كانت السوق الواحدة حاجة البرجوازيين . لذا حملت الطبقة البرجوازية لواء الحركة القومية في اوروبا ، فنشأت القومية بين احضانها وطبعت بطابعها .

د - كان العامل الاقتصادي ، وبتعبير ادق التطور الاقتصادي الرأسمالي هو محرك القوميات الاوربية ، لانه كان العامل الاساسي في ظهور الدول القومية الموحدة ، وبالتالي هو الذي انضج الشعور الغامض الغض بالقومية . لان عاملي اللغة والارض كانا متوفرين في العهد الاقطاعي ، الا ان العزلة التي فرضتها الحواجز الاقطاعية على اجزاء الامة جعل الشعور بالقومية وضرورة الوحدة هزيلا ، ومـا ان هدم التطور الاقتصادي الحواجز والقيود الاقطاعية حتى انصهرت الامة وتبلور التكوين النفسي لكل شعب .

هـ - كانت جماهير العمال والفلاحين والصناع الحرفيين لا تعي بوضوح كاف مصالحها الطبقية الخاصة . وكان الصراع الرئيسي يدور بين البرجوازية والاقطاعية . فاستطاعت البرجوازية آنذاك - نظراً لطابع نضالها التقدمي - ان تعبىء جماهير العمال والفلاحين والحرفيين .

كان طابع تلك القوميات برجوازياً محضاً ، لان التطور التاريخي كان يجري آنذاك باتجاه فوز الرأسمالية وتثبيت دعائمها ويؤهل بالتالي الطبقة البرجوازية للزعامه .

و - استيقظ الشعور القومي في اوروبا في معمعان نضال طبقي بين البرجوازية والاقطاعية . وقد ظهر ذلك بوضوح تام في الثورة البرجوازية الانكليزية في القرن السابع عشر والثورة البرجوازية الفرنسية في القرن الثامن عشر والثورة البرجوازية الديمقراطية الالمانية في القرن التاسع عشر .

*** * بقلم : ياسين الحافظ * ***

ز - كان هـذا التطور الاقتصادي القائم على الملكية والرأسمالية والذي يحركه عامل الربح والاستثمار دافعاً للتوسع والعدوان على الامم الاخرى ، فطبعت تلك القوميات بالطابع الشوفيني .

ثم اتخذت هذه الامم طابعاً استعمارياً على النطاق العالمي عندما دفع التطور بالرأسمالية الى مرحلتها الاحتكارية .

— ٢ —

اما سير التطور التاريخي الملموس للشعب العربي فقد تميز بالخصائص التالية :

آ - ان الشعب العربي لم يعرف الاقطاعية في شكلها الاوربي الكلاسيكي . لقد لعب الاسلام دوراً حاسماً في تحطيم الشكل القبلي للجماعات العربية ، واتم عملية التفاعل والصهر في قسم كبير من البلدان التي وصل اليها الفتح العربي آنذاك . ففي ظل الاسلام تكونت للشعب العربي ثقافة مشتركة وتبلور تكوينه النفسي ، الاسلام كتراث حضارة ، كثقافة مشتركة ، كتكوين نفسي مشترك ، هو الرحم الذي احتوى امتنـا العربية وحماها من التفتت النهائي والتجزئة الكامله وهو الذي حال دون تحول الفوارق الكمية

الدرجية التي تكونت خلال الفجوات التاريخية التي عاش فيها الشعب العربي مجزءاً، الى فروق نوعية كيفية تجعل التجزئة امراً طبيعياً ومنطقياً، هذا هو الاثر الايجابي للاسلام على شعبنا العربي.

ب ـ على اثر التوسع الاستعماري في العالم، وخاصة على اثر الحرب العالمية الاولى، انتقلت المسألة القومية من اوربا الى الصعيد العالمي، واصبح النضال القومي في اساسه نضالاً تحررياً للجماهير الشعبية وخاصة لجماهير الفلاحين في آسيا وافريقيا ضد الدول الاستعمارية الغربية.

حـ ـ ان الحركة القومية العربية قد استيقظت على محاولات الافناء التركيـــة أولا ثم على اضطهاد السيطرة الاستعمارية الاجنبية. وبالتالي فان القومية العربية لم تستيقظ في غمار نضال طبقي داخلي.

د ـ لم تتطور الرأسماليـــة العربية ـ حتى الآن ـ ذلك التطور الواسع الذي يجعل وجود السوق المشتركة عاملا اساسياً في هدم الحدود بين الاقاليم العربية، لقد سبق الوعي القومي العربي التطور الاقتصادي بمراحل طويلة، نكاد لا نتبين صلة سببية بينهما بل يمكن القول ان كل رأسمالية عربية في كل قطر تتطور بصورة منفردة ومعزولة. وهكذا نتبين ان ليس بين البـلاد العربية اقتصاد مشترك، وبالتالي لن يتاح له ان يلعب ذلك الدور الذي لعبه التطور الرأسمالي في اوربا. ها هنا يبرز دور الفكر القومي الثوري الذي يلحم هذه الثغرة، اذ يلعب النضال المشترك ضد الاستعمار دور توحيد وصهر لاجزاء شعبنا بتقويته الشعور بالمصير المشترك وتصفيته الشعور بالعزلة والتجزئة.

هـ ـ ان الجماهير الشعبية العربيـــة من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين قد نما وعيها الطبقي والقومي، ولم تعد كتلا غامضة التفكير مبهمة الاتجاه تسير خلف البورجوازية العربية، لم تعد البرجوازية العربية قائدة للشعب العربي، بل ينهض بعبء النضال الجماهير الشعبية المعادية للاستعمار. فالبورجوازية الوطنية العربية لم تحتضن وحدها دعوة الوحدة بل احتضنتها جميع الطبقات والفئات الشعبية المعادية للاستعمار.

و ـ ان نهوض الحركة القومية العربية يجري في مناخ دولي تقدمي، في عصر نهوض الاشتراكية وانتصارها وتفكك النظام الاستعماري وانهياره.

تلك هي الظروف التي تعيشها الحركة القومية العربيـــة، والعقبات التي تناضلها والفئات التي تحتضنها.

هذا هو مجرى تطورها التاريخي، الذي طبعها بسمات معينة وخلق لها خصائص مميزة. هذه الخصائص اذن ليست «مطلقة» او «بيولوجية»، كما انها ليست «سلبية» او «قدراً محبباً» لانها ليست هبة من الطبيعة الخيرة ولا نعمة من التاريخ الغابر المجيد، وانما هي ثمرة النضال التاريخي الذي يخوضه شعبنا العربي، وان اعتبار هذه الخصائص غير مطلقة وغير خالدة لا ينفي كونها موجودة واساسية وجوهرية.

وهذه الخصائص هي التالية:

١ ـ قوميتنا العربية حركة اممية وانسانية، فهي قد عانت مظالم الاستعمار وقاست ويلاته، ولذا فهي تعطف على حركات التحرر في كل انحاء العالم وتدعمها. وهي جزء اساسي من حركة النضال الانسانية ضد الاستعمار، فهي تقف اليوم في الخط الاول من جبهة الشعوب، وتجابه الاستعمار العالمي بمجموعه، في كل لحظة وفي كل مكان، وهي تحمل اعظم المثل العليا الانسانية، الحرية والتقدم والعدالة والسلام لكل الشعوب.

٢ ـ وقوميتنا العربية حركة شعبية، فقد حمـــل لواءها واحتضنها جميع الطبقات والفئات والجماهير الشعبية المعاديـــة للاستعمار. ليست البورجوازية الوطنية العربية قائدة الحركة القومية العربية، بل هي احدى الفئات التي احتضنتها، المثقفون الثوريون والعمال والفلاحون والبورجوازيون الصغار. هؤلاء هم حملة عبء النضال القومي العربي.

٣ ـ وقوميتنا العربية حركة ديمقراطية، لانهـــا لم تجابه الاستعمار وحده، بل جميع القوى الضالعة معه التي ربطت بحكم طبيعتها الطبقية مصيرها النهائي به. لذا كان سحق الاقطاعية كعقلية وكأسلوب انتاج من اولى مهام الحركة القومية العربية

٤ ـ وقوميتنا العربية حركة تقدمية، وتقدميتها حصيلة السمات الثلاث الاولى معاً، مضافاً اليها كون نهوضنا يجري في عصر انتصار الاشتراكية في العالم. تحرر قوميتنا من الطابع البورجوازي ومن القيادة البورجوازية وتحالفها الفعـــلي مع المعسكر الاشتراكي في النضال العام المشترك ضد الاستعمار سيفتح امام تطورها في الداخل آفاقا واسعة باتجاه الاشتراكية

دمشق　　ياسين الحافظ

((انتصارات القومية العربية))

لم تكن القومية العربية فكرة مجلوبة طارئة ، كما يزعم بعض المؤرخين ، اعتنقها العرب بتاثير الافكار الحديثة التي جاءتهم ، وانما كانت شيئاً اصيلاً في نفوسهم ، لها جذورها في تاريخهم وفكرهم وعقيدتهم وواقعهم . ومما لاشك فيه ان الافكار الحديثة التي غزت العالم والتي امتد تاثيرها الى نفوس العرب قد أسهمت في انتشال العرب من كبوتهم وكانت من جملة العوامل التي دفعتهم الى النهضة ، ولكن هذه الافكار ما كانت لتقدم للعرب القومية الراسخة في نفوسهم بل عملت على أيضاح هذه القومية وجعلت الناس يبغونها لابطبعهم فقط وانما بفكرهم وفلسفتهم أيضاً .

فالقومية العربية اذاً نسغ أصيل في وجود العرب ، ما كان ليقف في يوم من الايام عن مد العرب بعنصر الحياة . ولقد كانت عصور العرب الذهبية دليلاً على تدفق هذا النسغ الاصيل كما كانت عصور الانحطاط دليلاً على ضعف جريانه . وفي هذا النسغ الاصيل الدائم يكمن سر الوجود العربي .

ان الوجود العربي ، منذ نشأته ، كان يحمل في نفسه مفهومه القومي ، فلقد كان العربي في الجاهلية مرتبطاً أشد الارتباط بقبيلته ، وكانت القبيلة هي المفهوم البدائي لمعنى القومية ، وكان لها مثلها الخلقية التي توارثها العرب وامتدت في تاريخهم وربطتهم بالانسانية . لان هذه القيم من وفاء وشهامة ونجدة واباء للضيم وشغف بالحرية وغيرها كانت تربط العربي بالانسان وتجعل من مثله القومية مثلاً انسانية في الوقت ذاته .

ولكن هذه المثل الانسانية لم تكن كاملة النضج ، وكانت في العصر الجاهلي تعمل في نطاق محدود ، ولم يحاول العرب في مجتمعهم الجاهلي ان يجعلوها شاملة عامة لان وجودهم الضيق لم يسمح لهم بهذا الانطلاق . وعندما جاء الاسلام برسالته الشاملة استطاع العرب ان ينقلوا قيمهم الى سائر الناس وأن يتجاوزوا وجودهم الضيق الى الوجود الانساني الشامل . واستطاع الفتح العربي عندئذ ان يمتد في الممالك البعيدة لانه كان فتح عقيدة وقيم خلقية لافتح غنائم وأسلاب وأطماع بشرية .

ان القومية العربية كانت تحمل اذاً في طياتها بذور الحضارة ولقد قام العرب حقاً بدورهم الانساني خلال تاريخهم الطويل حتى ان عصر المأمون لم يضاهه في العلم والمعرفة والامان أي عصر آخر في التاريخ ، وكذلك عصر عبد الرحمن الناصر في الاندلس ، فقد اقتبست منه المدنية الأوربية أول أنوارها حتى غدت قرطبة محجة لرواد العلم من الغربيين والشرقيين على السواء .

وهكذا ظل العرب خلال تاريخهم يشاركون في اغناء الانسانية بأروع التراث الفكري ، ولكن هذا التاريخ قد اعتوره فترات لاقت خلالها القومية العربية محنا وويلات ومع هذا فقد استطاعت أن تنتصر .

ان انتصارات القومية العربية دليل على غناها بالمثل العليا ، ودليل على أن الشعب العربي قد تأصل في نفسه حب الحرية كما تأصل في نفسه اباء الضيم ، ولذا ما كان ليصمت الا لينفجر وما كان ليهدأ الا ليثور .

نعم لقد انقسمت الخلافة العربية منذ فجرها الى دويلات ولكن العرب كانوا دائماً رغم انقسامهم يشعرون بأنهم أمة واحدة ، ولم يكن هذا الانقسام ليؤثر في حقيقة القومية العربية ، والدليل على ذلك هذا البعث المتوالي الذي مرت به الامة العربية على الرغم مما نالها من اضطهاد وكوارث .

★ ★ بقلم : الدكتور جودة الركابي ★ ★

واذا كان تاريخ العرب يؤكد انتصار القومية العربية خلال الاحقاب الماضية ، فماهي انتصاراتها في عصرنا الحديث ؟

ان انتصار القومية العربية في عصرنا الحديث يتجلى في كفاحها ضد الاستعمار . واول كفاح حديث لها هو وقوفها في وجه الاستعمار التركي .

لقد ناضل العرب خلال عصور طويلة هذا الاستعمار ، ناضلوا بسواعدهم واقلامهم ، واراقوا الدماء الزكية ، حتى اذا ماقامت الحرب العالمية الاولى اعلنوا ثورتهم في الحجاز فكانت الشرارة الاولى التي انطلقت فيها القومية العربية من سباتها الطويل الذي استمر عدة قرون خلال الحكم العثماني . ولما وضعت الحرب اوزارها غدر الحلفاء بالعرب ولم يوفوا بعهودهم ومزقوا اوصال البلاد العربية . ولكن القومية العربية التي عرفت كيف تناضل الاستعمار التركي ، عرفت ايضاً كيف تناضل الاستعمار

الغربي الجديد الذي حاول ان يحل محل الاستعمار التركي المنهزم ورأينا القومية تنمو في كل من سورية ومصر والعراق لتقف في وجه الاستعمار الانكليزي - الفرنسي .

وقد ساعد على نمو الحركة القومية ازدياد الوعي وانتشار الثقافة السياسية بين افراد الشعب العربي ، وبدأت الروح النضالية تتأجج على اقلام الشعراء والكتاب ، واخذنا نسمع من افواههم اقوالاً تبعث العزم في النفوس . فهذا هو الشاعر خير الدين الزركلي يقف سنة ١٩١٩ ليندد بمكر الحلفاء وخداعهم فيقول مخاطباً العرب :

يا أمة وقفت على حب العـلا
افلاذهـــا والشيب والشبانا
لبس العداة لها الرياء جلاببا
وطووا لها الاحقاد والاضغانا
هم عاهدوك على الوفاء وما وفوا
ووثقت منهم بالحليف فخانا
عطفوا على الضعفاء حتى خيلوا
لهم المخاوف موئلاً وامانا
وحنوا على الانسان حتى استوثقوا
متحكمين ، فأنكروا الانسانا

ثم نراه لا يكتفي بوصف خداع المستعمرين بل يدعو الى النضال والتمرد مثيراً في النفوس شعلة المقاومة العربية فيقول :

ياراقدين على الهوان تأهبوا
وتجلببوا الادراع والاكفانا
هـذي بلادكم تباح ودوركم
تجتاح ، فابغوا غيرها اوطانا
من خال ان المجد يدرك هيناً
فلينتظر بعـــد الهوان هوانا
أسليل يعرب ، طال منك تريث
حتام تلبث لاهيـاً حيرانا ؟
هلا امتطيت من الجياد عتاقها
وجلوت عنك العار والخذلانا ؟
ان كنت من عدنان فاسلك نهجه
واذا جبنت فلست من عدنانا

وتحل الكارثة بعدئذ في سورية بعد وقعة ميسلون ، ويحتل الفرنسيون البلاد ، ولكن العرب في سورية لم يستكينوا خلال هذه الفترة القاسية التي مرت بهم . خمسة وعشرون عاماً ذاق خلالها الوطن وحشية المستعمر وذلة ولكنه لم يخضع ، فكانت الثورات تتوالى والدماء تراق رخيصة حتى كتب للقومية العربية نصر جديد في يوم الجلاء . ويقف الشعراء يمجدون هذا اليوم الاغر ويقف شاعر الشام الاستاذ شفيق جبري ليردد على مسامعنا في سنة ١٩٤٦ قصيدته الخالدة ، فنردد معه في كثير من الفخر هذه الابيات التي يخاطب فيها الفرنسيين الراحلين فيقول :

اغركم من شباب الشام يومهم
بميسلون والأيام تنكيـــد
مانامت الشام عن ثأر تبيته
هيهات مانومها في الثأر معهود
تكاد تفلت من اكفانها رمم
لتشهد الثأر ، يوم الثأر مشهود
خلت ملوك ، وأرض الشام طاوية
تاج الملوك ، وتاج الشام معقود

ان انتصارات القـومية العربية دليل على غناها بالمثل العليا ، ودليل على ان الشعب العربي قد تأصل في نفسه حب الحرية كما تاصل في نفسه اباء الضيم ولذا ماكان ليصمت الا لينفجر ، وما كان ليهدأ الا ليثور .

وهذه هي مصر العزيزة ، لقد كان الكفاح الذي بدأ فيهـا ضد الاستعمار البريطاني منذ سنة ١٨٨٢ قد وصل الى اشده عندما رفضت بريطانيا بعد الحرب العالمية الاولى الاعتراف بوفد مصري في مؤتمر الصلح . وكان ذلك التحدي ايذاناً ببدء عهد جديد من الكفاح ، وقد بقي محتدماً حتى بعد الاعتراف الاسمي باستقلال مصر عام ١٩٢٢ ، اذ لم تكن مصر لترضى بذلك الاستقلال الممسوخ الذي كانت فيه البلاد خاضعة للنفوذ الاقتصادي والسياسي والبريطاني .

وجاءت معاهدة سنة ١٩٣٦ ولكنها لم تغير شيئاً من سياسة الارهاب التي فرضتها بريطانيا على مصر . ووقف الشعب العربي في مصر مناضلاً لا يعرف لنضاله هوادة او كلالا ، ولو ان هذا النضال لم يستمر ولم تزداد حدته لما كان الجلاء .

لقد عرف النضال القومي في مصر انتصارات عديدة ، الا ان الانتصار الباهر للقومية العربية انما جاء على يد قائدنا البطل جمال عبد الناصر عندما هب بثورته عام ١٩٥٢ ليطهر القطر المصري من الفساد والاستعمار وليرفع فيه لواء العروبة عالياً ان هذا الانتصار للقومية العربية كان نذيراً مخيفاً للمستعمر الذي جن جنونه فقام بعدوانه المجرم الثلاثي على بورسعيد وكان يبغي من وراء عدوانه هذا القضاء على القومية العربية المتيقظة ولكن القومية العربية كانت اقوى من المستعمرين فقضت على

العدوان الآثم وحققت نصراً جديداً كان من ثمراته وحدة سورية ومصر وقيام الجمهورية العربية المتحدة . .

واليوم نشاهد نصراً جديداً للقومية العربية في قطر عربي شقيق هو العراق العزيز . ان هذا النصر المؤزر الذي تم على يد جيش العراق وشعبه الباسل ليؤيد أن العراق لم ينم وأن قوميته العربية متأصلة في نفسه . وهاهو ذا التاريخ يشهد على أن العراق لم يعرف الراحة ولم يعرف الاستسلام . فمنذ أن تجلت خيانة الانكليز لعهودهم صمم الشعب العراقي على مقاومة الاحتلال الاجنبي بكل الوسائل ، وكانت ثورة الشعب العراقي سنة ١٩٢٠ أول ثورة عربية تشن بعد الحرب العالمية الاولى في وجه المستعمر الدخيل . ولولا هذه الثورة لما أنشئت الدولة العراقية ولكن هذه الدولة كانت في أكثر عهودها - مع الأسف - ألعوبة بيد الانكليز الذين جعلوها تدار بيد عملائهم وأنصارهم وذاق العراق في هذه الفترة أنواع الظلم والاستعباد والطغيان ولكن الوعي القومي كان ينمو ويترعرع وكان الشعراء امثال الزهاوي والكاظمي والرصافي ينفخون في الشعب روح الوطنية وينزلون بالمستعمر سياط السنتهم لتلهب الثورة وتؤجج السخط والنقمة على الغاصبين ، فلنسمع الرصافي وهو يتهكم على حكومة الانتداب والاعوان في العراق آنذاك فيقول :

هذي حكومتنا وكل شموخها
كذب وكل صنيعها متكلف
غشت مظاهرها وموه وجهها
فجميع مافيها بهارج زيف
وجهان فيها باطن متستر
للاجنبي وظاهر متكشف
هذي كراسي الوزارة تحتكم
كادت لفرط حيائها تتقصف
أنتم عليها والأجانب فوقكم
كل بسلطته عليكم مشرف
ان دام هذا في البلاد فانه
بدوامه لسيوفنا مستوعف
لابد من يوم يطول عليكم
فيه الحساب كما يطول الموقف
الشعب في جزع فلا تستبعدوا
يوماً تثور به الجيوش وتزحف
كم من نواص للعدا سنجزها
ولحى بأيدي الثائرين ستنتف
ان لم نضاحك بالسيوف خصومنا
فالمجد باك والعلا تتأفف

لقد تحققت نبوءة الرصافي اليوم ، فقد هب جيش العراق الباسل وهب شعبه الابي في الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ يجز نواصي الخونة ويجرها جراً في شوارع بغداد ، واندلعت ثورته العارمة لتحطم الاغلال وتقضى على الملكية الفاسدة وتعيد الى العراق مجده وعزه ، واذا بالعراق البطل يمشي في موكب العروبة ويسجل نصراً جديداً مؤزراً للقومية العربية .

لقد كتب العرب تاريخهم الحديث بدمائهم ، واذا كانت القومية العربية قد سجلت هذه الانتصارات الجيدة فان في ذلك لدليلا على أن قوى الخير هي الغالبة دائماً والعرب يعلمون اليوم ، أكثر من أي يوم مضى ، أنهم هدف للعدوان والغدر ولكنهم مصممون على اعادة مجدهم وسيظلون واقفين ، والسلاح بيدهم ، لصد كل اعتداء حتى يتم لهم النصر النهائي ، وحتى تتألق شعلة القومية العربية من المحيط الى الخليج ، وسيكون العرب في نضالهم رسل القيم الخالدة في الحرية والمحبة والسلام .

جودة الركابي

في الخصومة بين الحديث والقديم

بقلم : الدكتور امجد الطرابلسي

ما أكثر ما كتب في ادبنا وآداب الامم الاخرى في هذا الموضوع ! فهو ملازم للحياة الادبية في كل عصر وفي كل أمة بل هو ملازم للحياة الانسانية نفسها في جميع مظاهرها ومرافقها صغيرها وكبيرها ؛ حتى اذا ما اختلف اثنان في قضية ما أمكن رد اختلافهما في معظم الاحيان الى هذا النزاع الابدي حول القديم والحديث . هذه قضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والتعليم ، بل هذه قضايا الاذواق والازياء في الملبس والمطعم والمسكن ومختلف منازع الحياة ، ألسنا نرى ان النزاع فيها انما هو في الغالب نزاع حول تيارين لاتقوم الحياة بدونهما تيار يشد الانسان الى تقاليد الماضي ، وآخر يدفع بهذا الانسان نفسه الى مغريات المستقبل ؟ ولعمري ، عندما يتناقش الناس اليوم ويحتدم الجدال بينهم في الرأسمالية والاشتراكية .. اوفي ضرورة تبسيط قواعد اللغة العربية .. اوفي حقوق المرأة .. اوفي هذه الازياء العجيبة التي نفاجأ بها بين موسم وآخر .. أليست قضية القديم والحديث ذاتها الموضوع الحقيقي لهذا النقاش ؟

ولكن هذه الخصومة بين القديم والحديث ربما كانت في الفنون الجميلة أظهر منها في المجالات الحيوية الاخرى ، لان الفنون – وفي طليعتها الادب – الصق الظواهر الاجتماعية بالحياة الفكرية يضاف الى ذلك ماحبا الله به الادباء على اللدد وعبقرية في التفنن في الخصومة وبسط الموضوع .

* * *

وجدت الخصومة بين القديم والحديث في الادب العربي منذ أبعد عصوره ، وهي خصومة تقوم في حقيقتها على اصول نفسية لاتنكر ، مثل شك الانسان في كل جديد ، وتعاليه على كل محدث ، واستسخاف كل جيل الجيل الذي يليه ، في نظرة الانسان بعد كل اولئك الى الماضي من خلال ستار خداع يخفي شوائبه ونقائصه حتى يصبح كل ماض في نظره خيراً من كل حاضر وكما نجد اليوم من جلة شعرائنا وعلمائنا من ينكر ان يكون هذا الذي يقوله شعراؤنا المجددون شعراً ، كذلك كان أبو عمرو بن العلاء في مفتتح القرن الهجري الثاني يستحيي ان يروي في مجالسه شيئاً من شعر جرير او الفرزدق او الاخطل ، لاشيء سوى ان شعرهم محدث ! ولقد كان العلماء واللغويون والمؤرخون حريصين جداً في بدء عصر التدوين الايترجموا في كتبهم لشاعر محدث او معاصر . فهناك اعتبارات لغوية كانت تحتم عليهم ان يخصوا القديم وحده بعنايتهم لانه دون سواه هو الذي يستشهد به في اللغة والقرآن والحديث ، ولكن هذه الاعتبارات اللغوية التي لها مايسوغها سرعان ما اصطبغت بالصبغة الفنية حين اصبح هؤلاء العلماء واللغويون نقاداً واصبحوا ينظرون الى الشعر القديم وكأنه المثل الاعلى من حيث قيمته الفنية لانه المثل الاعلى من حيث نقاؤه اللغوي ومن حيث صلاحه لان يستشهد بـه في اللغة والدراسات الدينية .

ثم يتأصل هذا التعلق بالقديم مع الزمن فيحاول ان يسد الطريق على كل محاولة تجديدية : فاذا ضج بعض الشعراء من أمثال ابي نواس بهذه السلاسل التي تقسرهم على افتتاح قصائدهم بوصف الاطلال أو ماشابه ذلك من المعاني التي عادت لاتطيقها الشاعرية المتحضرة ودعوا الى الانطلاق الحر في رحاب الفن بمايلائم ذوق العصر ، نهض ابن قتيبة واضرابه يسدون عليهم الطريق ويجعلون من منهج القصيدة الصحراوي البالي قاعدة لايجوز العدول عنها . واذا نهض بعض الشعراء من أمثال أبي تمام لتجديد وسائل الشعر التعبيرية والعناية بصناعتهم الفنية ، وقف في طريقهم ابن الاعرابي وأنداده يصرحون بأن أبا تمام لايفهم مايقول ، وأن مايقوله ليس من الشعر في شيء بل هو من اقوال المجانين او المبرسمين لانه يخالف عمود الشعر العربي ومفاهيمه ، وانه اذا كان مايقوله ابو تمام ومريدوه من الشعر حقاً فكل ماقالته العرب باطل . وهكذا يستمر الصراع بين القديم والحديث بينما يحاول الشعر ان يتلمس طريقه خلال هذه الخصومات فيحلق تارة ويسف اخرى ، وينطلق حيناً وتتحطم اجنحته حيناً آخر . ثم تنقضي العصور فاذا كل قديم حديث في عصره ، واذا الامر كما يقول ابن شرف القيرواني :

قل لمن لايرى المعاصر شيئاً ... ويرى للأوائل التقديما
ان هذا القديم كان حديثاً ... وسيغدو هذا الحديث قديماً

واذا الشعر المحدث والمعاصر يفرض نفسه على العلماء والمؤرخين فيعنون بجمعه وتبويبه ، حتى انهم ليرون له احياناً من الفضائل ماليس للقديم ، وليلمسون فيه من الخصب والجمال مالا يلمسون

له مثيلاً في شعر القدماء. بل ان النظرة لتنقلب رأساً على عقب في أواخر القرن الهجري الرابع حين ترى رجلاً كالثعالبي يرفع شعر كل عصر فوق شعر العصر الذي سبقه.

* * *

وليس معنى هذا ان الخصومة الادبية بين القديم والحديث قد انطوت بانطواء تلك الصفحة من أدبنا القديم. فكل عصر من عصور ادبنا عرف لوناً من الوان هذا النزاع. بل لعله ليس بين هذه العصور عصر عرف خصومة بين القديم والحديث اشدعنفاً واوسع مجالا من خصومات عصرنا الذي نعيش فيه. فحملة العقاد والمازني من شوقي ومدرسته بلقاء مشهورة. وكذلك الخصومة العنيفة بين العقاد والرافعي وبين طه حسين، وكذلك كل ماكتبه المؤيدون والخصوم حول ادب المهجر واتجاهات الرابطة القلمية بوجه خاص، وكذلك كل ماكتب، ما لايزال يكتب عن الالتزام وعدمه في الادب، وعن رسالة الادب، ومسؤولية الاديب. كل هذه الوان من معارك ادبية ان دلت على شيء فعلى عنف التيارات الجديدة التي هزت ومازالت تهز ادبنا المعاصر.

وهناك اليوم في أدبنا وحول شعرنا خاصة خصومة عنيفة من هذا اللون، ولكنها خصومة خفية، لان مايظهر من فلتاتها على صفحات المجلات الادبية لايعبر تعبيراً صحيحاً عن حدتها وعمقها. ثم ان معظم مجلاتنا الادبية اليوم مجلات مجددة مندفعة مع الانتاج الشعري الحديث. وشدة الحماسة له. اما المجلات المحافظة فقد زالت من الوجود اوكادت تزول حتى لم يبق للمدرسة القديمة من ينطق باسمها. ولكن خفاء هذه الخصومة لايقلل من عنفها وعمقها. فشعرنا في تبدل جذري عميق، ولايمكن لمثل هذا التبدل ان يحدث دون ان يترك في الادب تموجاته العنيفة. ومن الامواج مالايكاد يظهر له أثر على سطح الماء لانه دفين عميق ولكن السفن مع ذلك ترتعد منه هلعا.

* * *

ومن المؤسف ان كل هذه الخصومات بين القدماء والمحدثين التي عرفها أدبنا العربي من أقدم عصوره حتى اليوم لم تطرح الموضوع كما يجب ان يطرح، اوكما طرح في خصومات مماثلة جرت في آداب الامم الاخرى. لقد بقيت هذه الخصومات في ادبنا شخصية الطابع فلم يتح لها من المفكرين من يرتفع بها عن اطارها الادبي المحدود الى الاطار الانساني العام. ذلك ان هذه الخصومة التي كثيراً مانبتسم او نضحك لبعض ما كان يحدث او مالايزال يحدث فيها من مفارقات او مهاترات، هي في حقيقتها قضية جد خطيرة لانها تتصل اتصالا وثيقاً بقضية التقدم او التطور الانساني في مضمار الفن بوجه خاص. بان الانسانية، كما يقول (برونتير) الناقد الفرنسي المعروف، قد أحرزت على ممر العصور كسباً محققاً في مضمار العلوم والفنون الصناعية. فهل أحرزت ياترى مثل هذا الكسب المحقق في مجال الفن والادب؟ ان كل مايضاف الى التراث العلمي من جيل الى آخر هو حتماً كسب واغتناء وتقدم، بل ان المكتشفات العلمية لتنصهر من جيل الى آخر في بوتقة واحدة مشتركة حتى تصبح مكتسبات العلم ملكاً مشتركاً للانسانية كلها. انشتاين حتماً اعلم من نيوتن لانه متأخر عنه، وعلماء الذرة اليوم حتماً أعلم من انشتاين للسبب نفسه، فهل من المحتم ان يكون كل شاعر اشعر ممن سبقه؟ أو ان يكون كل موسيقي او مصور او نحات انبغ ممن تقدمه في فنه؟

الجواب حتماً بالنفي، لان الطابع الشخصي لايفارق الانتاج الادبي على ممر العصور كما يفارق الانتاج العلمي.

فلا بد لنا اذاً مين نتكلم على القديم والحديث في الادب من ان نعير هذه الملاحظة اهتمامنا، فنعرف مقومات العبقرية الشخصية في كل اثر ادبي؛ مما يؤدي بنا الى الاعتراف بأن القدم والحدوث ليس لهما كبير شأن في المفاضلة بين أديب وآخر، وبأن الادب الجيد جيد بأصالته وجماله وعمق اتصاله بالقيم الانسانية الخالدة لابقدمه او حدوثه.

ولكن هل معنى ذلك انه يجوز للأدب ان يتأبى على كل تطور بحجة ان قيمة الاثر الفني انما هي في مقوماته الشخصية لا في قدمه اوحدوثه؟

البقية على الصفحة (٤٩)

احزان المدينة الجامدة

بقلم محيي الدين صبحي

(١)

أنين الشوارع

كم هي قاسية العزلة في شهر كانون، فوق الاحتمال . تنتشر ذرات البرد في كل الفضاء ، فتجمد الهواء فوق سطح الارض زذاذاً زجاجياً ينخس مسام الجلد . وانا ملقى على شوارع دمشق كلها مثل هذا الهواء البارد المنتشر في كل مكان .. انا والبرد نبحث عن ذكرى مرة ، نبحث عن آهة متوحدة عزلة .

آه ايتها الشوارع الفسيحة الممتدة . ايتها الشوارع التي تمتص شبابي : ماالذي بين شعابك يجتذبني ؟ ألم اعرف انك جوفاء دائخة من وقع الاقدام ؟

كل الاقدام التي وطئتك اوصلتها ، الا انا مازلت ادور وأدور في خطوطك المتكسرة . ماعرفت الراحة ولاعرفت النهاية .

أنت صماء مقفرة ، لاحس ولاشعور . وانا اطمع ان يكون فيك درب الى الافق او طريق موصل الى القمر ، اذ أراه كل الليالي قريباً من ترابك الذي كان الى سنوات قليلات مليئاً بالاعشاب .

حتى القمر يفضل ان يرى وجهه فوق اسفلت الطريق ، لكن قدمي يحسان ضجيج الحياة في التراب الراقد تحت الاسفلت .

آلاف البذور تموء وتئن من اسفلت التقاليد .

ياللحياة المدفونة ، كم تتوق الى وهج وهبوب !

* * *

(٢)

سجين في المقهى

اليوم صحو .

كم أتمنى أن أرسم خيالي على الارض من وقع أشعة الشمس وارتشاف الصحو الازرق . هذا مستحيل فأنا عبد سجين ، قفصي علبة محكمة الاغلاق جوها أسن عشش فيه من الصيف الماضي هواء عفن ، وتشربت الجدران رائحة التبغ والتنباك واللغط والضجيج الفارغ الكراسي تعرف اصحابها . فلو مررت ليلاً بالمقهى ووجدت الكراسي تركب الطاولات ، لسمعت حوارها عن اصحابها :

« كيف استمروا يوماً او يومين - فالوقت ليس من ذهب ! - يلعبون ويدخنون ، ثم نهضوا وقد علاهم الصدأ وتآكلت حيواتهم »

الناس متبعثرون تحت الضوء . وكذلك النمل والطيور ولعل براعم الاشجار تغلي فيها دماء الحياة .

وهذا المكان البليد لايحس بالربيع فقد ودع عهد النشاط والفرح منذ نشوئه .

عبثاً أحاول التفكير فيما هو خارج العلبة اذ ليس ثمة مكان آخر افضل منها .. نعم هناك السينما والخمارة والماخور وكلها أمكنة آسنة .

ويدخل اثنان يبحثان بلهفة عن مكان ، قال احدهما لصاحبه وهو يحاوره :

ـ نحن اصحاب حظ ان وجدنا مكاناً .

لاتحمدوا حظكم ايها البلهاء ، اليكم مكاني لابورك لكم فيه فمازال في أحشائي ذبالة .

ما أشبهني بالبذور التي غطاها الاسفلت .

أين الناس الاحياء ؟

أين الاحياء السعداء ؟

هنا . كل الرؤوس منكسة .

* * *

(٣)

الحلم العطشان . اعيش حياة بلا احلام ! زارني الحلم مرة وكاد يموت ! ماذا تقدم الصحراء غير العطش ؟ كيف تزور الصورة بلا حقيقة ؟ تدور حكايا عن حب ينشأ من النظر .. العين نافذة القلب والفكر بابه . في مدينتي يدخل الحب من النافذة ..

لذلك تلتقي الاجساد وتبقى الرؤوس منفصلة ! ؟

(٤)

ارض الصبار والاصنام والجليد

مدينتي سجن كبير سوره جليد . قيود الحديد اكلها الصدأ قيودنا ايدينا .

شعارنا : « لا تفعل » لذلك يضيع شبابنا في التردد بـــين الرغبة والفعل .

المدينة ــ السجن حين تعج مساء بابنائها مثل صحراء تقف فيها اشجار الشوك ذليلة امام الاوثان :

« هذه هي الارض الموات .

« هذه أرض الصبار .

« هنا الهتنا الاصنام . وهنا يرفع الموتى اكفهم

« ضارعين الى الاصنام على مشهد من نجم

« خاب يتلألأ قبل ان يتوارى . » (١)

أسرى .. أسرى . وكل تمرد جزاؤه السحق .

حياتنا ليست ملكنا .

نحن امنيات بدون تحقيق   نحن شبان بدون مغامرات .

نحن كهول ليس لهم تجارب .

نفوسنا مغاور ومتاهات

عقدة الافاعي هذه ألا تنحل ؟

شعاع بسمة لو تضيء المغاور السود لبدل الفحيح تغريداً والتسلل نزهة .

الرصد المسحور على باب الكهف يرسل السوس ينخر عزيمة الشباب ، فالأسرى اصبحوا جذوعاً تطوق المدينة .

سوف يلتهمهم الصقيع وحيدين في العراء .

فلا تعجبوا اذا رأيتم سور الجليد يكبر رغم حرارة الشمس .

(٥)

الحسن الماسخ والعنكبوت الحزين

انا عنكبوت ذو ارجل كثيرة لكنها مغمسة بالدبق . لا استطيع الصيد من وحل الفقر ولزوجة التقاليد .

انسج حولي كهفاً عميق الظلمة لكي يحجب نور الشمس ونور الجمال ونور كل منعش .. من هبة عطر الى اشتهاء التمرغ فوق ناهدين اراهما في كهفي حفرة تغرقها حشائش المستنقعات .

أصبحت صرصوراً حقيقياً ينفر من الجمال ويستنشق في كهفه نتانة الاخيلة ودخان التبغ . كان الحسن شمساً تشع الامل وأصبح هيولى غريبة عن عالمي ، ثم صار ميدوزا تحجر رائيها . الآن استحالت افروديت الى زبانية تمسخ اتباعها حشرات تدب في القمامة .

حداً لآلهة الملاحة ! انها لم تحلني الى ذبابة بلا جناحين فقد بقي لي من أنفة العنكبوت أرجل طويلة أرتفع بها قليلاً عن الوحل .

لكنني خلال العصور هرأت من التمرغ في الكهف وتناثرت من وقوفي في مهبات الرياح .

ذات مرة تشظيت ثم صحوت وأنا شلو صريع نور ذهبي ونبعين من زرقة واخضرار .

لما تركتني الميدوزا وجـــدت نفسي مهملا على سواد الارصفة حجارتها تستقبلني مثل خدم المقهى :

ترحيب معرفة صدئت لقدمها وعدم ضرورتها .

ان سواد الارصفة يلفظني من طريق الى طريق .

وأنا في المدينة المسحورة طريد مثل ابليس حين تلقى اللعنة .

هاهو يمسخ من ملاك الى شيطان .

محي الدين صبحي

(١) من مقطوعة للشاعر الانكليزي ت . س . اليوت .

ذكريات

في حقول الارز ، قرب النهر ، في ارض العراق

أرض الوفاء

مازالت « الثورة الحمراء » . تذكر والدماء

وهناك مازالت ذكريات .

ذكرى الكفاح . في كل القلوب الخافقة .

بالحب .. بالامل العظيم

مازالت ذكريات

في قلوب الامهات . في قلوب الاخوات .

في « بصرتي » . في كوخنا الأخضر

مازالوا يذكرون

كل مايدمي القلوب

الكويت ــ عبد الكريم أحمد الحمود

وادي الهوى

شعر : سليم الزركلي

وادي الهوى ، والليالي فيك حسادي
ماذا فعلت بقلبي ، والهوى زادي
ارقت فيـــه الاماني ، وابتعثت له
دنيا الهناءات ، يحدو ركبها الحادي
وقدته في دروب الحب يغرس في
أعتاشها خفقات المدنف الصادي
ومرسل الشعر الحانـاً معطرة ..
كأنها ومضات الرائـــد الهادي
تجري الجداول في اضوائها نغما
مسلسلا بـــين أزهـــار وأوراد
وللزنابـــق ارواح تقلبه
، ريـا المعاطر ، في احضان أعواد
تمرست بهواه كل سانحـــة
وطرب الفجر فيه البلبل الشادي

* * *

فرقت مابين احلامي وعالمهـــا
وكنت خير مراحاتي ، ومرتادي
فكم انست الى ورقـــاء ساجعة
تحبو الاصائـل ألحاني وأورادي
وكم هتفت بساج فيـــك يلحظني
، خلف الجفون ، بطرف الوامق الغادي
وكم نهلت بأكواب منمنمـــة
راح الودادة في صحو وتسهاد
أترعت كأسي فهلت في جوانحها
نعمى توثب في يمن واسعاد
تألقت فيك ايامي وهـــادنني
ليـــل الحوادث : لارام ولا عاد
صحبت دهر صباباتي وأخيلتي
وانت جنـــة عشاق وعبـــاد
تود فيك عشيات الهوى اكتحلت
ببارق في صميم القلب وقاد

توعرعت في فتون الغيد وانطلقت
مثل الفراشات من عود لأعواد
ومن شفاه تعـل الحب في نهم
الى ثغور تناغى ذات ابراد
ومن نحور بلألأ الندى اتشحت
الى صدور بفيض النور حشاد !!

* * *

عشقت فيك ابتسام الصبح مؤتلقا
تهز اعطافـه قمرية الوادي
اذا تفتح نام الليل في دعـــة
وغاب افلاكه في كهف رقاد
وأسبل الطل دفاقاً ، فرائده
نثر اللآلىء في اعراس آراد
وعطرت جنبات السفح اردية
لها بشاشة اعيـــاد وامجاد
علمت وجدي شدو العندليب فكم
غنى فأطرب ، او اشجى بترداد
اعانق الزهر والريحان يرمقني
ورفرف الورد يسلي وحشة الغادي !!
وان صحا الليل يستجلي كواكبه
ولف سود ملاءات وابراد
معلقات على الافنان تغمرها
نوافح الطيب من نور وجداد
وهومت نسمات النهر عارية
مثل الولائد في راحات ميلاد
أطل طيف الاماني بعدما نسلت
به الاماني من عـــذل وأرصاد
وحل ركب الهوى يمتاح من ظماء
شوق المحبين في ميسور آمـــاد

البقية على الصفحة (٥٠)

«((الذين لايثقون بالشعب))»

● بقلم : ذوقان قرقوط ●

يحار المتشائمون ، الذين ، لايثقون بالشعب والذين لاتعي ذاكرتهم احداث الماضي ومآسيه ولم يعانوا مشاعره واحلامه وتربصه وبالتالي لم يتبينوا منطق المستقبل من خلال تفاعلاته المختلفة ، يحار هؤلاء جميعاً كيف يفسرون انتفاضات الشعب العربي ، وانتصاراته واستجابته الرائعة في كل مكان لداعي القوميه العربية المتحررة . ولقد بلغت حيرتهم اشدها في ثورة العراق .

هؤلاء ، غرهم ذلك الظاهر المريض ، المتفكك في واقع الحكم والمؤسسات العامة وفساد الدخلاء والعملاء وافسادهم وكثرة تهافت الانتهازيين على المغريات ، فاعتقدوا ان كل امكانيات الشعب العربى تقف عند حدود هذا الواقع ولايمكن ان تتخطاه . على هذا المنطق بنى المتشائمون تفكيرهم وفلسفتهم ، والوصوليون الاذكياء ، الذين لم يلهموا الصبر ؛ مساعيهم وسلوكهم ، والمستعمرون خططهم في السيطرة والاستغلال والتمكين لبقائهم .؛ وكثر الذين توهم الشعب فيهم ، فترة ما ، أملا لتحقيق أمانيه ثم مالبثوا بعد «الوصول» ان احتواهم فلك هذا الواقع فداروا فيه حتى داخوا وسقطوا . مما زاد في تشائم المتشائمين وتسابق الانتهازيين واطمئنان الاستعمار .

غير ان امكانيات الشعب العربي الحقيقية لم تكن في تلك الفئات الحاكمة التي طفت على السطح . كانت وماتزال في خلايا المجتمع العربي التي انفصلت عنها : في جماهير المدن والقرى من عمال وفلاحين وصغار التجار ، تلك الجماهير التي حافظت على قيمها واخلاقها رغم افساد الحاكمين ومازال الماضي يتصل في نفوسها بالحاضر والمستقبل حكام يأتون ويروحون ومغامرون يظهرون ويختفون ومترفون كدسوا اموالهم بالاحتيال ووسعوا اراضيهم بادنى الوسائل ثم يمحقهم فسقهم وفجورهم ودخلاء يرطنون تقليداً للمستعمر في كل شيء .. ثم يقذفهم المد غثاء على ساحل حياة العرب وتبقى تلك الجماهير ، ثابتة صابرة تغدو الى قوتها اليومى وتتفاعل ببطىء مع الحياة المتجددة . فأنى للذين عاشوا غرباء عن هذه الجماهير ان يقدروا امكانياتها اذا هيئت لها سبل الظهور وتحطمت امامها القيود . فهل حسبوا حساب المخزون من الشقاء والآلام ، والمدخر من التجارب المريرة كيف تتمخر في قاع الضمير العربي ، تستفيد من الفشل تلو الفشل والمصيبة تلو المصيبة لتخلق ارادة لاتلتوى امام الاخطار وتحكيم الامكانيات حتى اذا تفجرت انتزعت رايات النصر في احلك الظروف واشدها يأساً .

فالثورات التي نراها تنجح اليوم ليست أولى الثورات في بلاد العرب لقد سبقتها عشرات الثورات في كل قطر بل وفي كل قرية من قرى العرب وكانت كلها تبوء بالفشل عاجلا أو آجلا لانها كانت تبنى على النظرة الجزئية لحل مشاكل هذا القطر أو ذاك وهذه القرية اوتلك . وكان المستعمر والفئات المتحكمة باسمه ــ منذ مئات السنين ــ يستطيعون عزلها والتنكيل بها . ولكنهم هل كانوا يستطيعون محو اثارها ؟!

لم يبق في الوطن العربي بيت لم يشكل وحرمة لم تمس بأذى واصبح كل فرد يطوي بين جوانحه ذكريات عن أب أو أخ سقط على الطريق . فلما تفاعلت هذه التجارب والذكريات وجاء الوعي يضع لمضمونها الشعارات النضالية الواحدة ويعقد لها الالوية في سبيل اهداف واحدة تتجاوب لها اقطار العرب كلها لم تذهل الاستعمار بانتصاراتها فحسب وانما اصبحت مثاراً لبقية الشعوب وقدوة لها في الاجهاز عليه .

ان المنطق الذي يسير الشعب العربي غير المنطق الذى يعيش عليه الاستعمار والفئات الرجعية الحاكمة ويملي عليهم تصرفاتهم في بلادنا ، هذا مستمد من الاستغلال ومشتقاته وذلك من حاجة الشعب الى الثورة ، انه ينبع من ذاته ، منسجما مع احاسيسه ومشاعره وانعكاسات الظروف المحيطة به ، كأنه قدر يسوقه الى مستقبل محتوم ، لايستطيع معرفته أو تصور سماته الا الذين يعيشونه من الداخل كما عاناه الشعب منذ مئات السنين منذ مئات السنين والشعب العربي يعيش في كبت . تنطوي قدراته المختلفة وتختزنها في تلافيف حياته العامة والخاصة ولو كانت ضحلة لاستطاع الغزاة والمغامرون ، على مختلف ألوانهم ، ظاهرين أو مستترين ، أن يزيلوها وانما على العكس اخذوا اكثر مما أعطوا ، حتى الجزائر حيث استطاع الافرنسيون أن ينشروا لغتهم محل اللغة العربية لم تثبت بثورتها على الاستعمار الحفاظ على قدراتها العربية وبقائها على الاتصال بينبوعها الاصيل

البقية على الصفحة « ٥٤ »

عزمي موره لي .. في افكاره وتأملاته

بقلم : سعد صائب

ثمة ظاهرات تبدو – لأول وهلة – لمن يقرأ او يستمع الى الصديق « عزمي موره لي » ففيه هــذا التلازم بين الخيال البعيد المجنح ، وبين التفكير العميق الصافي صفاء البلور . يراهما القارىء متحدين ، متناسقين ، لا انفصال بينهما ولا تفاوت .. فحيثما يجد امتداد الخيال وسعته ، يعثر في الوقت ذاته على عمق التفكير واشراقه وغناه . وبينما يتكشف له هذا الاغراق في حبه الطبيعة ، وهيامه بها ، يتضح له هذا الشك في نظرته الى الحياة والناس ، كتجربة معاشة لاتخلو من مرارة وحزن وحسرة ..

ولئن غلب عليه حب الطبيعة ، والاعجاب بها ، والايمان بما تهبه من فرح اسى ، ومن ايقاع منغوم ، فليس يعني ذلك عنده كره البشرية ، والحذر منها ، وعدم الثقة بها ، والتجديف بمعتقداتها او نكرانها ، بل يعني تشوفه وتوقه الى ان يجد في كنه البشرية ماوجده في مجال الطبيعة ... وكأني بالصديق « موره لي » يتساءل ويلحف في تساؤله : ترى هل حالات الطبيعة الوجدانية اعمق واكثر امتزاجاً بجوهرها من حالات الانسان الوجدانية ؟

اترى غلب الانسان على امره حتى بلغت فيه هذه الحالات من السطحية ، وعدم التجانس حد الجمود والتوقف ؟.

اني المحه من خلال تأملاته التي كتبها بلغة فرنسية غنية – يستعذب الخير والجمال والعطاء في الطبيعة ، ويود لو تتحقق هذه القيم في الانسان الذي لايشك في انه يدرك بعقــله وذكائه ووعيه حقيقته – اي جوهر وجوده – اكثر من ادراك الطبيعة حقيقتها ...

ولعل مما يسترعي انتباهنا ، هو استجلاؤه تلك الفوارق بين ماتنطوي عليه الطبيعة من معطيات تتحقق بمحبتها ، ونكرانها ذاتها ، واغراقها في بذلها ، وبين هذا التجاوب الواهي الذي يقفه الانسان حيال انسانيته ، والطبيعة ، والعالم الذي يحيط به . يقيني ان الاستاذ « موره لي » يتناول هنا قضايا الخير والشر ، والشك واليقين ، والتفاؤل والتشاؤم وغيرها من القضايا التي استعصت على الفلاسفة والمفكرين ، الذين مابرحوا يعالجونها ولكن دون جدوي ، وعلتهم – كما يخيل الي – انهم تناولوها بعقولهم فحسب لابوجدانهم ، مما ادى الى فقدانها طابعها العاطفي الاصيل الذي يلعب دوره في التأثير ، وايقاظ العاطفة الانسانية الحيرى ، ويكون – في الوقت ذاته – بدء انطلاق نحو تحطيم القيود التي كبلت الانسان ، وفصلته عن عالمه الذي يحيا فيه ، وعالم الطبيعة الذي يكتنفه ، كيما يتاح له المجال ليحرر عقــله ويحقق انسانيته ، ويؤكد بالتالي عواطفه الجمالية .

وأود ان انبــه هنــا الى ان ماسيرد في « اللاموجود » و « صلاة » لايعني البتة انكاراً كما يفهمه السطحيون الذين يؤخذون ببريق الكلمة دون الغوص الى مضمونها الوجداني ، بل يعني ضرباً من « الوجد » الصوفي المتفتح النامي المنبعث من الاستغراق الذاتي في الكون ، ومن التأمل النابع من المشاركة والتعاطف ، بين الذات الواعية ، والطبيعة الخيرة التي مابرحت تحيا حالاتها الوجدانية ، وتأبى على الانسان نفوره منها ، وابتعاده عنها ...

واذا شئنا التحديد ، قلنا انهــا ضرب من « الوجودية » .

وهي الى وجودية « كير كيغارد » المؤمنة ، اقرب منها الى وجودية « سارتر » و « كامو » واضرابهما ، او وجودية الفلاسفة العلمانيين الذين سبقوا اعلام الوجودية المعاصرين في دعوتهم الباطلة بان « الله فرضية لافائدة منها ويجب ان تحذف » على حد تعبيرهم ... ان وجودية « عزمي موره لي » وجودية ، مؤمنة ، انسانية ، لاوجودية ملحدة ثورية لاانسانية .. انها دعوة الى الامتزاج في الكون الشامل وتمثله ومعرفه كنهه ، لا الى النفور منه ، والابتعاد عنه ، والتخلي عن ناموسه !.

انها في النهاية « أنسنة » الانسان مبدع الحق والخير والجمال !..

ظهيرة الابدية [1]

كنت غافياً على ارض جرداء قاحلة وكان العوسج الشائك ينمو في الايام المتشابهة البطيئة ، البطيئة . ما اشبه قلقي بهذه الابدية التي تتكرر ، لحظة ، لحظة ، عصراً ، عصراً . تمر الوف السنين ، وارى جسمي راقداً على الارض الجرداء العارية . هدفاً « لظهيرة الابدية »

اللامــوجــود

رأيتني اركب بحاراً من حزن لاينتهي مداه ، تائهاً في سدم ابدية . لم ينفذ فيها شعاع نور ، متلفعاً بامواج قاتمة من الفزع الصوفي . منتشياً بوجودي ، اتأمل في وحدتي « العدم الالهي »

مقبــرة

ايها الزخرف التافه المحال ، يامرحلة عقيمة : ها أنذا قابع بين امواتك ، شاهداً وحيداً على حياتي وموتي ، وما انت ايتها القبور ، سوى هياكل من العدم ، امتزجت معالمها بالاعماق السحيقة دون عمر ، ولا ذكرى عن الارض ، الارض الموات التي تتدثر الابدية .

فــزع صــوفي

اعماق سحيقة ، قبور ، هذيان . ذعر لايوصف ، لم يوجد من قبل . نيات ، ذكريات . همهمات مختلطة في اللحظة الشاردة . اللحظة الابدية . حيث أكون ، ولا أكون .

---

(١) مختارات مترجمة من تأملات السيد عزمي موره لي

التقدم فكرة وعقيدة

بقلم : الدكتور محمد الفاضل

يلوح لي ان لفظ « التقدم » من هذه الالفاظ الكثيرة الشائعة المشحونة بالمعاني المتنوعة المتعددة. «فالتقدمية» فلسفة حياة، ومذهب في السلوك الاجتماعي والسياسي والعلمي ، «والتقدمي» ينظر نظرة خاصة الى سير التاريخ ويقف موقفاً اخلاقياً معينا حيال الكون والمجتمع والدول ، وحيال المؤسسات البشرية في الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، ونحن انما نود ان نتقصى فكرة التقدم ومظاهرها ، ومدى سيرورتها ، وهل التقدم حقيقة واقعة ام انه افتراض وتخمين وضعه بعض العلماء قيد التداول ليكون تفسير وايضاح لبعض المظاهر النامية في الحضارة الحديثة ؟

ولعل الانسان الحديث لم يضع فكرة التقدم موضع الاختبار والتجريب الا عندما وقف يتفحص معنى سير التاريخ الانساني ويسائل نفسه بلوعة وحيرة!: هل انسان اليوم اسعد حالاً واهنأ بالاً من انسان امس؟ وهل الطريق التي يسلكها انسان اليوم ستؤدي به الى عالم الحق والخير والجمال وطوبى النعيم المقيم ؟ وهل سيتحرر الانسان من سيطرة الخرافات وقيود الشهوات الهمجيات ويتفلت الى عالم عقلاني صرف لايسيطر فيه على قوي الطبيعة فيصبح سيد الكون فحسب ، وانما يقبض فيه على زمام مصيره فيصبح سيد قدره ؟

لعل الأولى ما نحب ان نسترعي الانتباه اليه هو ان فكرة التقدم تنطوي في مصادرها الاولى على مفهوم معين للنمو الحضاري الذي شهدته العصور الحديثة .

فهي اذن فكرة حديثة جداً لايكاد يتجاوز عمرها المائتين من الاعوام والايمان بفكرة التقدم يستلزم قبل كل شيء الايمان بقدرة الانسان وبانسانيته وبانه هو وحده ولا احد سواه قوي على اصلاح حاله وتحسين مصيره وقادر على تهيئة الوسائل لاسعاد ذاته بذاته. والايمان بفكرة التقدم يستلزم ايضاً التفاؤل والاعتقاد بان التاريخ يسير بالانسان حتماً نحو هـذا المصير الافضل ، والفردوس الامثل ، ومن الطبيعي ان فكرة كهذه الفكرة وايماناً كهذا الايمان لا يمكن ان تلقاهما لدى الانسان في المجتمعات البدائية الاولى ، لان الانسان في هـــذه المجتمعات ، وفي كثير غيرها كالمجتمعات الاغريقية والرومانية كان يبحث عن فردوسه المفقودة في اغوار الماضي السحيق ، ولم يكن يرنو بعينيه الى المستقبل القريب او البعيد ، وانما كان يرى عصر الانسانية الذهبي في الماضي ، فهو متلفت ابداً الى الوراء ، تواق ابداً الى العودة ، متلهف ابداً الى « جنة عدن » التي هبط منهـــا الانسان الاول مذموماً مدحوراً. ومن البدهي ان اسطورة هبوط الانسان الاول هي وفلسفة التقدم على طرفي نقيض : فبينما تعتبر الاسطورة ان الانسان كان في ماضيه ملاكاً رفيعاً خالداً يرتع في جنة الخلد ثم لحقت به الخطيئة فهبط من عليائه وحق عليه في حاضره الشقاء والعذاب ، اذ تعتبر فكرة التقدم ان حاضر الانسان خير من ماضيه ،وان مستقبله ولا شك خير من حاضره وان جنة عدن ليست مرحلة عاشها الانسان في الماضي وانما هي مرحلة من صنع يديه وانه سيشق طريقه اليها في هذه الحياة الدنيا بجهوده الخاصة وانه سيحياها حتماً في مستقبل ايامه على هذه الارض التي يعمرها لا في السبع الطباق

واذا كنت لا تعثر في العصور الاغريقية والرومانية رغم غناها وخصبها على اثر لفكرة التقدم فانت ايضاً لن تعثر على شيء منها البتة في العصور الوسطى ، فلقد كانت الفكرة السائدة في العصور الوسطى ان الدنيا دار حطام وفناء وارتحال ، وان حياة الانسان فيها يؤلف مرحلة انتقال او جسراً يعبر منه الى الابدية .

ولما جاء عهد النهضة La Renaissance كان كل هم رجال النهضة ان يكشفوا عن روائع الماضي وان يسعوا الى ارواء رغباتهم الخفية الجامحة في منافسة الرومان وتقليدهم بغية الشعور بالتفوق عليهم .

ومما لا مشاحة فيه ان الانسان لم يستطع ان يتملص من التلفت الدائم الى الوراء ولم يقو على ان يرنو بعينه الى الامام وان يبصر ان ماهو صائر اليه هو حتما افضل مما كان فيه ، لم يستطع ان يتخيل عصره الذهبي في المستقبل الا بعد ان انقشعت عن بصيرته هذه الغيوم الكثيفة التي حاكها تمجيد اعمال الاقدمين وتقديس آثار الجدود وبعد ان زال من نفسه الاعجاب بها وايقن انه قادر على مثلها بل على ما هو افضل منها . وقد كان الفضل في ذلك كله الروح الانتقادية التي التهبت شعلها في آراء المفكرين الكبيرين باكون (Bacon) وديكارت . وغني عن البيان ان باكون كان اول من استشفت امكانيـــة استخدام العلم في تحسين احوال البشرية، وان ديكارت حطم التقاليد وتنكر للمنقول واخضع كل شيء لحكم العقل ، حتى لقد اعتبرت فلسفته بيانا لحقوق الانسان ولا سيما حقه في ان يكون حراً من قيود الخرافات والاوهام الغيبية .. وفي رأي ديكارت ان العلم سيجعل من الانسان سيداً للطبيعة ومالكاً لقيادها .

وتناول الفكرة فلاسفة القرن الثامن عشر ، فنفحوا فيها الحياة ، وغدا معنى « التقدم » في رأي رجل كفولتير التمرد على تقاليد الماضي والتحرر من ربقة سيطرة الكنيسة واستبدادها . وجاء برناد ان ده سان بيير ،وهو روح متفائلة خصبة كبيرة ، فكان اول من قلب الاوضاع ونقل عصر الانسانية الذهبي من الماضي البعيد الى المستقبل وحث الانسان الى التطلع اليه والسير قدماً نحوه ، وآمن بامكانية تحقيقه اياه. اما فولتير فقد قام في رسالته المشهورة باول محاولة عرفها تاريخ الفكر البشري لبيان المراحل التي انتقلت فيها البشرية من عهود البربرية الى عهود التحضر والمدنية .

واذا كان لكل فكرة شهداؤها واضاحيها فما لاريب فيه ان كوندورسيه Condorcet كان شهيد فكرة التقدم ،وكان الفيلسوف الذي خلد الفكرة على وجه الدهر ، ومهر انتصارها بدمائه ،فلقد اتهمه رجال الثورة الفرنسية بعداء اليعاقبة ، واصدروا امراً بتوقيفه ومحاكمته ، ولكنه استطاع ان يختبيء ولبث في مخبئه يؤلف كتابه المعروف حول الصورة التاريخية لتقدم العقل البشري ، ولكنه فوجيء بالتوقيف عام ١٧٩٤ قبل انجاز الكتاب . وسرعان ما شرب السم ومات منتحراً وهو في السجن. لقد مات كوندورسيه شهيد ايمانه بالتقدم البشري ، واعرب عن فكرته هذه وهو يعلم ان الموت قاب قوسين منه او ادنى ، مات وهو يرسم صورة الجنس البشري المتحرر

من قيوده ، السائر بخطى ثابتة في طريق الحق والفضيلة والسعادة ، وكان ايمانه قوياً بتفوق العقل الانساني وبضرورة حرية التعليم وان يكون لكل انسان الحق المطلق في التعلم وفي تثقيف نفسه،ومتى اصبحت الثقافة حرة وفي متناول يد كل انسان ، حينئذ تشرق الشمس على هذه الارض فلا نرى فوقها الا البشر الاحرار الذين لا سلطان عليهم الا سلطان العقل .

وشاعت فكرة التقدم في القرن التاسع عشر وكانت متكأ لكثير من المبادىء التي تجلت فيها حركات الافراد وحقوق الشعوب ومن بعضها مبدأ القوميات وحق الشعوب في تقرير مصيرها .

وازدادت فكرة التقدم رسوخاً في الاذهان عندما نشر داروين كتابه المعروف « اصل الانواع » في عام ١٨٥٩ ، وعلى الرغم من ان افتراضات داروين كانت سلبية صرفة في هذا المضار فهو لم يستطع ان يتنبأ عن النهاية التي سيصير اليها الانسان ولم يكشف عما اذا كانت خيراً ام شراً وانما كان يكفي في نظر العامة ان يقوم الدليل على ان الانسان قد تطور من الشكل الحيواني الى الشكل البشري حتى يستقر في اذهانهم اليقين بان الانسان ولا ريب سائر في طريق الكمال وانه لن يمضي عليه زمن طويل حتى تغدو صورته وقدرته على مثال صورة الله وقدرته .

وبلغ الايمان بالعلم التجريبي مرتبة حدت بالمفكرين الى وضع قواعد للتقدم البشري ، فزعم سبنسر ان الانسانية تسير من المنسجم الى المتنافر وذلك لان كل تبدل أو تغيير طارىء لابد من ان يعقبه تبدلات وتغييرات جمة اخرى ، وغالى مؤسس المذهب الوضعي اوغست كنت فبشر بعبادة التقدم واحدث ديناً للانسانية جديداً اطلق عليه اسم : « دين التقدم » وافصح عن المراحل الثلاث التي مرت فيها البشرية من لاهوتية وميتافيزيائية وعلمية . واثبت اوغست كونت ان كل جيل ينقل مشعل التقدم من الجيل الذي سبقه ليناوله بدوره الى الجيل الصاعد، وان لكل امة رسالة تؤديها - ودورا تقدمياً تلعبه على مسرح الحياة فتأخذ فيه عمن سبقها من الامم والشعوب ويأخذ عنها من يلحق بها من الامم والشعوب . بيد ان اوغست كونت لم يدر في خلده ان يبحث هل سيبقى هذا الطور العلمي الذي نحن فيه الى الابد ما بقي الانسان ام انه سينقلب الى طور آخر ؟

وما ان تصرم القرن التاسع عشر حتى غاضت هذه الموجة العارمة من التفاؤل والايمان بالتقدم الانساني وبالعلم ، واعقبتها موجة اخرى متشائمة . وتعود اسباب هذا التحول الى عوامل شتى منها :

ان الحروب الكبرى التي نشبت على مقياس عالمي عصفت بقواعد المجتمعات وانقصت من قيمة الانسان الخلقية قبل نفسه ، ومنها ان مكتشفات علم النفس وهو من العلوم الجديدة التي نشأت في اواخر القرن التاسع عشر قوضت اركان الرأي القائل بسيادة العقل وتفوقه ،وتفوق العقل وسيادته هما الدعامة الاساسية التي ارتكزت اليها فلسفة التقدم .وقد غدا من المسلم به ان عوامل كثيرة غير العقل المجرد تؤثر في سلوك الانسان وتوجهه في اعماله وتصرفاته كعوامل الوراثة والبيئة والغرائز وقد يكون اثر هذه جميعها في تسيير الانسان اكبر واعمق من اثر العقل .

وقد تجلت هذه النكسة التي اصيبت بها فلسفة التقدم في الادب والشعر والموسيقى وشتى فروع المعرفة والفن . ومن هذا القبيل قصة كتبتها في مطلع هذا القرن زوجة الشاعر المعروف شلي وصورت فيها شخصية عالم كبير دعته فرنكشتاين اخترع عملاقاً آلياً ، وقد راجت هذه القصة رواجاً ان دل على شيء فانما يدل على هذه المعضلة الحديثة التي ابتلي بها انسان العصر الحديث، معضلة الالة التي خلقها الانسان فأصبحت تهدد حياته ووجوده وربما كان فيها هلاكه وفناؤه .

ومن مظاهر الريبة بفلسفة التقدم في عصرنا الحديث ، ما يشير اليه بعض المفكرين من ان العلم والتاريخ كلاهما لايقيمان الحجة القاطعة على ان الانسانية قد تقدمت اللهم الا في ميدان المعرفة والتجريب ووسائل العيش. ويتساءل بعضهم في اي ميدان من ميادين الحياة يتجلى هذا التقدم المزعوم؟

هل تحسنت بنية الانسان الجسدية ؟ ان علم الطب ولاشك قد زاد في متوسط الاعمار وجعل الحياة اكثر أمناً من ذى قبل ولكن علم الطب عجز عن تحسين الجسم الانساني وتقويته . وفي ميدان العقل ؟ هل تفوقنا في المقدرة العقلية على الاغريق ، بل هل وصلنا الى ماوصلوا اليه ؟

لقد زاد التعليم في عدد الذين غدوا يعرفون القراءة والكتابة ولكن التعليم لم يستطع حتى الآن ايجاد اناس يتمتعون بعقل كعقل ارسطو او خيال كخيال سفوكليس او براعة في النقد تضارع براعة سقراط . واما في ميدان الفن فان التدني واقع لاشبهة فيه ، والا فاي امرىء وهبه الله شيئاً من الموهبة الفنية يستطيع القول بان عصر بيكاسو في الرسم هو ارقى من عصر ليوناردو فيش .انه شيء آخر ولاشك ولكنه ليس ارقى فنا ولا اجود موهبة.

ولعل حضارتنا ان امتازت بشيء فانما تمتاز بهذا الفيض الهائل من الاختراعات العلمية ، ولكن من ذا الذي يستطع ان يزعم ان هذه الاختراعات خير كلها ، وان انسان القرن العشرين هو بها اليوم اسعد حالا واهنأ بالا واكثر طمأنينة من ذى قبل .

ومع ذلك كله فليس من ينكر ان التطور حقيقة لاريب فيها. وليس التطور في واقعه سوى الوجه الحياتي او المظهر البيولوجي للتقدم. وفلاسفة التطور لايرون في التقدم قانوناً بشريا وشاملا ومحتم الوقوع ، واذا صح في عرفهم ان البقاء للانسب فليس معنى ذلك ان هذا الانسب هو دوما الافضل او الاجود . ويؤيد هذا الرأي علماء السلالات انفسهم .

والخلاصة : التقدم فكرة وأمل ، والتنكر لهذه الفكرة يأس وعدمية ، اما الايمان بها فتعبير عن طماح النفس الانسانية وتوثبها وتوقها للمستقبل الامثل والعيش الافضل . ويقيني ان التخلي عن الايمان بالتقدم يزيد في ارهاق انسان العصر الحديث ويغمره في بأسائه وبلوائه . ولكنما ينبغي ان يبقى هذا التقدم في حدود ماتنتجه الارادة البشرية ولا يمكن ان يتناول ماترسمه الروح في شتى مظاهر الروح من ديانة وفن ، فالقضاء على الفقر مثلا امر ممكن التحقيق لانه رهن بالارادة البشرية ، وفي وسعها ومقدورها ان تفعل ذلك اذا سعت اليه . اما قرض الشعر فهو رهن بالالهام وليس رهنا بالارادة .

ولاشك في اننا نؤمن ايماناً مطلقاً بالتقدم في جميع المجالات والميادين التي تلعب فيها الارادة البشرية دوراً حاسماً لان الايمان بالتقدم هو الركيزة التي تبنى عليها النفس الانسانية وثبتها الكبرى لتحقيق ذاتها وازدهار عبقريتها ، بل هو المعين الخصب العذب الذي تنهل منه تشوفها الدائم الى حياة فضلى ومجتمع امثل وجنة عرضها السماوات والارض ، ذلك لان التقدم ليس فكرة فحسب وانما هو فكرة وعقيدة .

الدكتور محمد الفاضل

ثوب ..

شعر عدنان كيلاني

ياثوبها .. ياشعلة في دمي
بانجمة تاهت على الانجم

وعربدت فكل خيط بها
انشودة نامت على برعم

ياهمسة الوردة .. ياجرحها
يالون آهاتي .ويابلسمي .

افدي حوافيك التي وشحت
بجبهـــا بالامل المفعم

ثوب ، ربيعي الرؤى ، أسمر
عبدته في ثوبها الملهم

* * *

ياثوبها .. ياقبلة المشتهى
ياخفق اعصابي على الاحرف

احب ان تحكي لها قصة
نسجتها من حسي المرهف

قصة حب .. ثائر .. خائف
اطعمته نبضي ولم يشتف

فقل لها ياثوب اني هنا
حكاية تبكي ، ولن تنطفي

واني ماضج بي خافق
اعبدها وانها مصحفي

* * *

ياثوبها ياموجة من ندى
يازنبقاً صلى على زنبق

ياروعة .. حريرها هائم
ويا هزاراً بعد لم يخفق

لأنت في حشاشتي هالة
مغسولة بالطيب لم تهرق

روائح الفتنة تغلي على
صدرك ياثوب الا تتقي

ياليتني مثلك .. تختال بي
صبية ، تغفو على مرفقي

جامعة دمشق : عدنان كيلاني

من ادب الرحلات

توسكانا .. والمدافن الخضراء

بقلم : اديب خان الفتال

وتوسكانا كلها كنوز نعمة ، وكثبان خمائل مخضرة ، ونبات غاب مشمخرة ومراتع ببساطة محببة . وريفها هو الريف الايطالي الساذج الثمل بالسكرة الكبرى ، سكرة الايمان الحلو والعقيدة الخالصة .

وقراها وما اجمل تلك القرى ؟ وهي تحتل هامات الذرى وتتكىء على مناكب الجبال الخضر متراصة الدور متضافرة الحيطان حتى اذا رأيتها على البعد وقد تشابكت احجارها والتحمت جدرانها حسبتها اسوار حصن من حصون القلاع الغابرة تشد ابراجها لبعضها وتمنع على الرائد ان يلجها الا من ابوابها الكبرى التي تبارى الفن في صياغة مقرنساتها واحكام اقواسها ، لتحتفظ كل قرية بخصائص فنانيها واوابدها .

واشبالها يدبون على شعاف لها تضافرت من حولهم بالمرافق ووزعت دونهم مواكب من القنن تطل على السهول المواجـة بالنعمى وبالرزق الكريم والثمر السخي .

هاهي ذي الربى وما من رابية ولا ذروة في القرى الا وهي ملك للكنيسة . وهاهي ذي القمم تتوجها المعابد والاديرة ودور الرهبنة . وهاهي ذي السفوح والهضاب تمنطعها بالزرع البهيج وقف عليها . يشمر لها الرهبان والقسس يزرعونها ويحصدون برها ويجنون اطايب غرسها ويعتصرون خمر كرومها ويجمعون ما نضج من اشجار غابها ويقطعون الاحجار من مقالعها كل ذلك بدأب متقن وجهد مضني دونه جهـــد مملكة النمل جعل من رجال الكنيسة ارباب اختصاص لا يبارون في كل ما يزاولونه من مهن

وفي كورتونا هذه البلدة الايطالية الصغيرة الغافية فوق الهضاب الخضر وبين مرافق احراج الصنوبر البري ، يعيش اناس اذا رأيتهم حسبتهم من ابناء العاصمة الكبرى بما اتقنوا من تبرج . وبما افرغوا على انفسهم من زينة ولباس : فتيات كورتونا كغزلات (فيافينتو) معرض الجمال في العاصمة روما سواء في الجمال والاناقة واتقان الاصباغ المحمرة للخدود وانتخاب الاحذية المطولة للقدود .

ومثلهن مثل بنات العاصمة يرفلن في بهرج الزينة والعطر والرائحة والاظافر المقبعة والالبسة الحريرية والجوارب العنكبوتية تدلك بداهة على فكرة الايحاء المشتركة عند بنات حواء لافرق بين فتاة القرية والمدينة. والفرق الذي يستوعي انتباهك هو تجنب اختلاط النساء بالرجال الى حد ما. فاكثرية الرجال يتجمعون في الساحة العامة لاستعراض حوادث السوق والتجارة والحرب الباردة والنساء يمشين زرافات مهفهفات ضاحكات خدرات من تحرش الصبية الصغار بهن الذين لا يفلتون فرصة صفع البنات على اقفيتهن البارزة لا لغاية الغزل بل للهزر البريء وبسائق السخرية من الجنس . لذلك ترى البنات . يلاحظن من وراءهن من الصبية ويتقونهم جهد الامكان .

في كورتونا هذه طريق طويلة (كورنيش) تطوق البلدة بخاتم بيضوي متقن الرصف والهندسه، مشيتها ذات اصيل ، وانا يستفلت نظري اشجار سرو باسقة متناسقة قائمة على جانب الطريق متقاربة القدود والاعمار وقد ثبتت على جذوعها السفلى لوحات نحاسية حكت عليها اسماء وتواريخ لاتتعدى اعوام ١٩١٦ - ١٩١٨ .

سألت عنها مستفسراً فاوضح لي احد المارة انها سروات تذكارية لقتلى الحرب العامة الاولى من شباب هذه البلدة المجندين وهي تحمل اسماءهم وتشير الى تواريخ استشهادهم في ميادين الوغى

استيقظت في نفسي غواية الاحصاء التي هي عادة من عاداتي فرحت اعد شجرات السرو الحزين فجاوز العد رقم التسعماءة وضلني الحساب . فما تمالكت في الليلة نفسها ان اسأل قيم المدينة ورئيس بلديتها ، وقد كنت مدعوا عنده للعشاء، عن صحيح عددها فقال مؤكدا انها الف وسبعة عشر سروه تحتفظ باسماء من هلكوا في بلدنا في الحرب الماضية ، وهي عزاء الاباء والامهات

دهشت حقاً واستهولت فاجعة بلد صغير مثل هذا قدمت كل هذه الاضاحي على مذبحة الاله مارس ، وليس لهم ما يذكر بهم الا سروات تحتضن اسماءهم وتشق صدر الثرى مندلعة الى فضاء السماء وكأنها آهات صدور الامهات تحمل لوعتهن على فلذ الاكباد الذين لم يسوهم حدث ولم يضم رفاتهم قبر وليس لهم من يتحدث عنهم الا اشجار خرس تجأر في الفضاء شاكية ظلم الانسان لاخيه الانسان .

وغداً سيغرس لشباب آخرين ايضاً سرو مشمخر صنو الذي مررنا به وستنقش عليها الاسماء ، اسماء من تناثروا اشلاء وامعاء في ميادين الواجب ليتبختر قائد ببزته ويصعر خده سيد في قصره ويتحدث عن النصر والامجاد لابنائه وسيخرج مرتبو الجريمة هذه مثقلو الصدور والاكتاف بالاوسمة وبالاوشحة المغموسة بدم الفتية الشباب الذين سوف لا يحن اليهم ولا يذكر بهم مذكر الا الارض المشتاقة الى محاريثهم والى رنات معاولهم والى الارتواء من عرق جباههم . والشجر المتمايل مع الريح سقباً لذكراهم .

سنة من سنن هذا الكون الجائر ومأساة من مآسي هذا البشر الضليل يلبسك وزره وتمسك ضرائه دون ذنب او جريرة . وهكذا قتل الانبياء من قبل وعذبوا لما عمدوا افشاء سر السحرة ونادوا بفساد خمورهم المغشوشة وهتكوا استار مضرمي نيران الحروب الذي يتعمدونها ليعيشوا على لهب شحوم السذج الابرياء . ولا تباعد سل السكارى من بقية السيف ممن حملوا راية الاوطان وفازوا بارواحهم واوذوا في جسومهم البتراء سلهم وقد عادوا فخورين بما حققوا لاوطانهم من نصر مؤزر وظفر عتيد . سلهم وقد عادوا لبلادهم هل كوفئوا على ما بتر لهم من سواعد وما شوه منهم من وجوه ؟ ترى هل وجدوا في الناس من استرضى نفوسهم الجريحة على ما تقدموا به من قربان وهل حموا من احتكام الفئات المحتكرة لاقواتهم ام هل في القوم من واساهم ووفر لهم من الرزق ولو بعض ما يؤمنهم من عوز المواطن المستغل ودرء عنهم مسغبة من جوع .

وسل الاباء والامهات الثكالى هل ووسوا بما قدموا من لاصحاب السيادة والسلطان من فلذ الاكباد بل سلهم اي ضمانات اعطوا واي تعويض لقوا ليتموا الباقيات من العمر بأمن ودعة بعد ان فقدوا عماد شيخوختهم . ولك ان تستخلص العبرة من عبراتهم الثخينة ومن نظراتهم الباهته ومن غصصهم المفعمة بالأنات على من فقدوا وصدورهم المشحونة بالسخائم على من استعلوا عليهم واستكبروا استكباراً . .

أديب خان الفتال

((اللغة ... والصمت))

بقلم : لويس لاقيل ** ** تعريب : الياس فرح

في كتاب « العبقرية العربية في لسانها » ينهج الاستاذ زكي الارسوزي نهجاً يتجاوز فيه حدود الدراسات الاجتماعية فهو في محاولته يكشف في «الكلمة العربية» عن آفاق ابعد من حدود الاصطلاح والدلاله والمضمون الاجتماعي . اذ عن طريق استجلاء الحدوس المتضمنه في الكلمات ، وعن طريق الدراسة التوليدية للمعنى الاشتقاقي يستشف الاستاذ الارسوزي حركة النفس العربية والذهن العربي ، ويصعد الى الينابيع الروحية التي انبثقت عنها لغة الضاد ...

وفي هذه المحاولة التي نقدمها للقارىء يحاول الفيلسوف « لويس لافيل » ايضاً أن يكشف في حياة اللغة في مختلف مظاهرها : الكلام ، والكتابة والقراءة والصمت . عن مستويات لاتكشف عنها الدراسات الاجتماعية الوضعية الامر الذي يساعد على فهم الاجواء والاطر العامه لأمثال هذه الدراسات والمحاولات الرائعة التي يقدمها الاستاذ زكي الارسوزي .

اللغة

ا . ف .

الانسان هو الكائن الوحيد الذي يعطي الموجودات اسماء لذلك فان للغة من الاهمية مايعادل اهمية خلق العالم . ان الكون ينفتح بواسطة اللغة امام الانسان ولا يبقى مغلقاً في وجهه ولا يعود بين الانسان وبينه حواجز . وبواسطة اللغة يقضي الانسان على الوحده التي تعزله عن الآخرين ، وبدونها تبقى الهوة قائمة بين المشاعر والافكار ، فلاتستطيع فكرة او رغبة ما ان تتحول من امكانية خفية الى حقيقة مشرقة تتسرب الى وعي الآخرين ومشاعرهم .

وان اللغة تكشف للفكر عن عالمين يستطيع أن يتصل بهما : عالم الاشياء ، وعالم الآخرين . ومهمة اللغة أن تقيم بين الانسان وبين هذين العالمين رابطة حية ، وأن تعطيه نوعاً من السيطرة عليهما .

ان اللغة ليست مجرد تحديدات واصطلاحات ودلالات ، انها اكثر من ذلك ، انها حياة انها المسافة التي تقوم بين الفكر والعمل . انها وسيط بين النفس والجسد ، بين النفوس ، بين الأنا والكون ، بين الفرد والمجتمع . انها ليست ثوب الفكر كما يقولون بل هي جسده الحقيقي . وهو جسد قد يستطيع عالم التشريح ان يدرسه من خارج ، الا ان معرفته تقف عند هذا الحد ، فلا يستطيع ان ينفذ الى الحركة اللامرئية التي هي اشبه بالحركة الداخلية للفكر والحياة .

ان اللغة تجمع الحسي والمجرد ، المتناهي واللامتناهي . انها توقظ الفكرة وتعطيها جسماً ، انها تؤلف مابين العالم اللامرئي الذي يحمله الانسان في داخله وبين العالم المرئي الذي يمتد امامه وتحقق الارتباط الخفي بين حركة النفس وحركة الاشياء .

ان في اللغة حداً ادنى تبدو فيه (الكلمة) مجرد اشارة مادية لشيء يقع تحت الحواس او لعمل يجب ان نقوم به ، غير ان فيها ايضاً حداً اعلى تبدو فيه الكلمة (آية) نلتقي فيها مع نفوسنا ومع الملأ الاعلى .

ان الكلمات التي انتقلت عبر العصور من فم الى فم ، واستعملت كما استعملت النقود ، تختلف عن العملة في أن الاستعمال قد حملها معنى وأكسبها كثافة وسعة ، فأصبحت تحتوي بشكل ضمني على تجربة العصور وعلى جميع الافكار والعواطف والآمال التي مرت في شعور الانسان . فهي من جهة ذاكرة الانسانية ، وهي من جهة ثانية تمثل روحها . ذلك ان اللغة بقدر ماتعكس الماضي تعكس المستقبل ايضاً . اذ عندما نقول عن كلمة بأنها (موحية) اكثر منها (معبرة) انما نعني أنها توقظ الى جانب الماضي الذي تنطوي عليه مستقبلاً تحمله وتتمخض عنه . وهكذا فان الكلمة تتجاوز الزمان .

لقد ألح (هنري بركسون) اكثر من أي فيلسوف آخر على عدم التناسب بين الفكر واللغة ، وعلى عدم قدرة اللغة على التعبير الكامل عن الفكر . غير أنني اعتقد انه على الرغم من ان وحدة التفكير مع اللغة قد لاتكون كاملة ، غير ان مجرد تخيلهما منفصلين امر غير ممكن ايضاً .

ان بين الفكر واللغة حركتين متبادلتين : فأحياناً يفتش الفكر في اللغة عن شكل يلائمه ويناسبه ، واحياناً تفتش اللغة في الفكر عن فعل يعادلها .

قد لاتكشف اللغة عن حقيقة مايجري في الفكر او يجول في النفس ، الا ان ترتيب الكلمات ولهجة الصوت تجعل الاذن النابهة

تدرك ماوراء ماقيل وتتوقع مايمكن ان يقال ان للغة وجوها مجسمة لاتعبر الا عن العام والاجتماعي اي عن الجانب السطحي من حياتنا ، غير ان لها ايضاً وجوهاً لطيفة دقيقة ناعمة تنفذ احياناً الى الاماكن الخفية المحجوبة . لذلك كان من الصعوبة علينا ان نرتفع بالفكر الى جدارة اللغة احياناً ، اذ ان في الكلمة وحدة في الجرس والمدلول تمثل اللامتناهي ، ويصعب على النفس ان تحتويها بشكل كامل . ان قصة برج بابل ذات مغزى بعيد ، انها تعني ان في داخل كل شعب ، وكل فرد لغة خاصة لايستطيع الآخر ان يصل الى لويناتها ودقائقها . لذلك كان التفاهم بين الناس يبقى ضمن حدود ضيقة او واسعة ولا يكون ابدا كاملا .

ان العادة تكفي لاستعمال اللغة ، الا ان العادة تقتل الجرس والمعنى ، ذلك لانهما يحتاجان دوماً الى التجديد والابداع . ان اللغة كما قلنا هي جسد الفكر ، غير انه جسد يملك استعداداً دائماً للانبعاث . لذلك فان الكتاب يجهدون في ان تقول كلماتهم اكثر مما قالته من قبل ، ويريدون منها ان تكون باباً ذهبياً للحياة الروحية .

الكلام

الكلام اكمل افعال الانسان وانقاها . انه معجزة الانسان غير ان الكلام لايساوي شيئاً من دون الصوت الذي يبثه ، ومن دون الاذن التي تستقبله . فهو اذن وسيلة تتصل بواسطتها الافكار . وعن طريقها يؤثر الناس بعضهم في بعض ، فهو يعقد مابين الناس آصرة حيـــة تضطرهم دون انقطاع ان يعطوا ويأخذوا باستمرار .

ثم ان الصوت لاينطلق من مجرد الاجهزة العضوية التي تسمح بانتقاله الى العالم الخارجي ، بل انه ينبع من اعماق الانسان . ان مع الصوت تصدر الهمسة والآهة والتنهدات التي تجسد العـــالم الداخلي وتصل الاعماق بالسطح وتربط القلب بالشفة .

وفي الكلام لايجوز ان نغفل عن الصلة الطبيعية بين حركة الشفاه وحركة العيون وعن العلاقة بين الكلمة والنبرة . ذلك ان في هذه المنطقة ايضاً يتقاطع المحدود واللامحدود ، النسبي والمطلق ويلتقي المتناهي باللامتناهي والمرئي واللامرئي والصورة الحية بالآية .

ان الذي يتكلم يصغي هو ايضاً الى نفسه . وهذا التخاطب بين اذن الانسان ولسانـه يكشف عن سر الكلام الذي هو سر الوجدان .

وعندما يتكلم احدنا يشعر بأن عالماً يولد من ذاته ، وان هذا العالم يلتقي بعوالم اخرى . فالكلام يكشف لنا اذن عن سر العالم : وهو ان العالم مجتمع افكار وانه ليس مادياً الا بالمقدار الذي يسمح لهذه الافكار ان تتباعد او ان تتقارب وتتحد .

لقد عودنا المحدثون ان يميزوا بين معنيين للكلمة ، وان يقابلوا بين الكلمة (كفكرة) وبين الكلمة (كصيغة) غير انني اعتقد بأنه لايحق لنا في سبيل (تأليه) الفكر ان نفصله عن الشكل الذي يتجلى فيه ، ولا في سبيل (تأنيس) الكلام ان نفصله عن الروح التي تلهمه وتحييه . ان الكلام هو الصلة المضاعفة بين مانسمعه بالاذن ومانسمعه بالروح ، بـين ماوراء الجسد وبين ماوراء النفس .

ان الرجل البدائي يتكلم قليلاً ، بل ويصرخ اكثر مما يتكلم ذلك ان علاقاته بالطبيعة كما يبدو اكثر من علاقاته باشباهه ثم انه لايرتبط بهم الا بدافع الحاجة او الانفعال ، وهذه الحقيقة تكشف لنا عن ان الحوار Dialogue هو نتاج الحضارة ان بين الصراخ والكلام مابين الانفعال والفكرة من مسافة ، واذا كان الغناء وثيق الاتصال بالانفعال والعاطفة والغريزة فان الكلام اشد مايكون اتصالا بالارادة والعقل . انه يترجم عن الجهد الداخلي ، ويكشف ، عن طريق الجرس والايقاع ، عن مجاهل الحياة النفسية ومنعطفاتها الدقيقة . لذلك فان الكلمة تموت وتصبح شكلاً زائفاً وجسداً خالياً من الروح عندما تفقد ارتباطها بالفكر والارادة اي عندما لاتكون وعـداً بعمل او لاتمثل حركة ونزوعاً وصبوة .

ان العالم لغة . وانا لا استطيع ان اتكلم الا اذا كان هناك من يسمعني ، كما أنه لابد ان تتوفر الحدود الدنيا للتجربـــة المشتركة بين المشاعر حتى نستطيع ان نسمي الاشياء نفسها بذات الاسماء . والكلام هو الذي يقوم بهذا الدور : انه يحمل الى الآخرين ما في لكي يصبح مشتركا فيما بيني وبينهم .

وكما ينعكس تأثير الكلام على حياتنا النفسية الداخلية ، كذلك تنعكس الاواصر النفسية على كلماتنا . فان مجرد حضور صديق ومثوله امامنا يكفي لتوليد محادثة صامتة داخلية عميقة ، وامام فئة من الناس نجد نفوسنا مفتوحة تستطيع ان تقول كل شيء في حين انها تنغلق امام فئة اخرى فلا تقول شيئاً . ان هناك اشخاصاً يوقظون تفكيرنا ويثيرون فينا بلا انقطاع افكاراً جديدة ، كما ان هناك اشخاصاً يخنقون ويقتلون حتى الافكار التي نحملها نحن .

البقية على الصفحة « ٥٦ »

خواطر في مهنة.. حرة!

بقلم : المحامي نجاة قصاب حسن

هذه المهنة التي نأكل خبزها ونضرب بسيفها ، صورتها عند الناس غيرها عندنا . الناس يرونها دلاقة لسان ، ونــداءات مشبوبة العاطفة امام قضاة لايختلجون ، وعالماً طلاسمه القانونية لاتلم بها جداول اللوغاريتمه ، ونحن نراها كدحاً ثقيلا في عالم كله خصوم ، اخصهم بالذكر السادة موكلونا . وكم رب عمل لنا في هذه « المهنة الحرة » ؟ اذا شئت انتحصى فعدعلى اصابعك القاضي والمساعد والمحضر والموكل ، والذي يعقد على لسانك والحصاة التي تحت اللسان ...

يوم تركت التعليم الى المحاماة ، لمحت في عيون كثيرة امارات غبطة . لاالسرو واعنى ، ولكن مادون الحسد . كأني باصحابها قالوا : محظوظ ، تخلص من الوظيفة !... وماعلموا ان عالم الصغار الذي كان دنياي ، حيث يتجسد لحماً ودمــاً والبراءة مادتنا الخام ، كان احب الي من هذه الدنيا التي نصفها اشرار ونصفها الآخر اخيار ولكن في حالة غضب . ولكم ان تصدقوا والاتصدقوا ، على انني اتوق الى رجعة نحو هذا العالم الذي احسن الشاعر القروي وصفه حين قال عن صغــاره « ويتأبون علي محاولين صرعي وخنقي ، فأنصرع لهم وأتقلب معهم حتى تنجلي المعزكة عن ثوبي المعفر وقلبي المعسول » ..

والمحاماة صلة بالناس ضابطها القانون ، والقانون لايسعف الحق دائماً . القانون شيء وسط وضع للاحوال جميعهــا ، اي لاالحالة على التعيين والقانون صورة مسطورة لوضع قائم لالوضع دائم التبدل والحركة ، ان تاريخ القانون هو تاريخ التطور في روحه ونصه ، والتطور في حقيقته حاجة الناس الى الجديد لان القائم لايفي بالحاجة . فالقداسة التي للقانون ليست سوى قداسة الحاجة اليه ، اما نصه فالتجاذب فيه دائم ، ومن هــذه الحقيقة خيبة المحامي الذي يرى نفسه يربح حين يجب - عدالة - ان يخسر ، ويخسر حين ينبغي ان يربح . وكلا الحالين ، المسرة والاسف لايحملان الى القلب فرحة حقيقية .

كأني ، في كل ماكتبت ، اشتم أبا هذه المهنة ولااجد لها حسنة . على ان الحسنة ليست في المهنــة ولكن في اسلوب الممارسة . ومن اطاق أن ينتقي فيها موكله وموضوعه وموقفه احس بشعور المقاتلين الذين يمنعون الحمى ان يستباح . ولكن كم تراهم الذين يطيقون هذا الانتقاء ؟ ومـــا استغنى الا من اغتنى وهيهات ! ..

ثمة حسنة اخرى في هذه المهنة ، هي الادب . فالمحاماه اقرب المهن كافة الى الادب ، الى الصيغة الجميلة التي تجعل الحق جميلا ، وقد تجمل غيره . على ان الادب قليل حظ في هــذه كقلة حظه في غيرها ، والذين يسعهم ان يكتبوا بلا تحشية ولا غموض ويتكلموا بلا لحن ولا ضياع عن الجادة ، عــدد صغير . واذا كانت من تبعة تلقي في هذا الصدد فعلى ثلاثة : اللغة الصعبة ، والمدرسين الذين يعلمون الادب العربي بحديث عامي الصيغة ، ومعهد الحقوق الذي تجد فيه كل شيء الا درساً في اللغة وفي الخطابة . لقد كان في معهد الحقوق يفرد للخطابة ساعة قبل ثلاثين سنة ، فما الذي عدل به عنها ؟ لاقلة الحاجة الى هذه الساعة ولكن قلة الشعور بهذه الحاجة .

والمرافعة اجمل الفنون قاطبة . اجمل من الخطابة والدرس والنقاش ، لانها في الآن نفسه الخطابة والدرس والنقاش والشعور بالتبعة ايضاً . ان الحق له مدخلــه الى النفس ، والقضاة بشر والمترافع البارع لايجعل حديثه كله في الواقعة والقانون ولكن يرش عليه بهاراً من الادب والعلم والنكتة . هذا محـام يختم مرافعته عن متهم بقوله : حين تخلون الآن الى انفسكم واوراقكم لتقدروا العقوبة بين حديها الادنى والاعلى ، وبين الشدة والرأفة اذكروا ان الفرق بين سنة وسنتين قليل على الورق ، ولكنه كثير متى كانت وحدة الزمن الثواني ، ومعها يعيش السجين . ولكنه كثير بين جدران اربعة كأنها المرآة فلا يرى فيهــا الا نفسه . ولكنه كثير اذا ذكرتم قول الشاعر السجين :

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها
فلا نحن في الاموات فيها ولا الاحيا
اذا دخل السجان يوماً لحاجــة
فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فكل حديثنــا
اذا نحن اصبحنا ، الحديث عن الرؤيا

اليس قد وضع القضاة انفسهم في سجن ضخم من الشعور بقيمة الزمن ، وقيمة الحرية ؟.

وبعد ، فهذه مهنة اخرجت حتى اليوم اكثر الساسة في العالم كله ، ولست ادري اهو مديح لها ان تكون اخرجتهم ام شتيمة . ولئن كانت الاخرى فمــا من قليل انهم يوصمون بالدفاع عن القضــايا الخاسرة ... وفي الغد المأمول ، حيث السياسة قضية رابحة لانها قضية الشعب ، اذا كان المحـامون في المستوى رجونا ان تظل منهم بقية تسبح الله ...

مهداة الى ثورة العراق

«(موجة وصخر)»

للشاعر اليوناني فالا وريتس

«ايها الصخر افسح لي المجال لأمر» قالت الموجة العاتية لصخرة الشاطىء الداكن . افسح لي المجال فصدري الذي عرفته بارداً ميتاً ينتفخ الآن بريح جنوبية سوداء . وتعشش فيه زوابع حالكة . لم يعد الزبد عربات حرب ولا الهدير الاجوف .. سلاح المعركة . انها انهار من الدم تجري في اعماقي . لقد صيرتني لعنات العالم وحشاً .. العالم الذي قال الآن انك ستنهار ايها الصخر العاتي . لقد دقت ساعتك .. عندما كنت آتي اليك على مهل خائفاً جزعاً وكنت اغسل اقدامك وانشفها بلساني. عندما كنت عبداً تحت اقدام طغيانك كنت تنظر الي بخيلاء وكنت تدعو العالم .. لرؤية مذلتي وحقارتي وللتشفي من زبدي المسفوح اشلاء يائسة ولكن .. ياللصخر المسكين ان قبلاتي كانت تنحت اقدامك وكنت نهاراً وليلاً انهش .. من جسدك الصلد وكنت افتح الجروحات العميقة في جنباتك واغطيها بالاصداف .. واوسع لك القبر في الهاوية السحيقة . هيا انحن . هيا انظر أساساتك القائمة .. في اعماق البحر . لقد تحولت الى رمال تتكدس على الشاطىء وجعلت منك فراغاً تحطمه الزوبعة . انى سأدوس عنقك بقدمي . لقد استيقظ الاسد ..

كان الصخر نائماً وكان يختبىء في الضباب وكان صدى التهديد المخيف يتجاوب في اذنيه .. كان يسمع ترجيع الصدى المرعب وكان في نومه يغط وكمن فقد انفاسه استفاق .. جزعاً خائفاً .

ماذا تريدين ايتها الموجة؟ اراك تتهددين وتتوعدين ..

بدلاً من ان ترطبي حرارتي وتدغدغي احلام نومي بأنا شيدك وتغسلي اقدامي .. بمياهك الباردة وتعقدي زبدك الابيض هالة لمهابتي . كوني من تكونين .. واعلمي بانني لن اموت بسهولة .

ايها الصخر ! اني انا الانتقام . لقد سقـــاني الزمن المرارة والاحتقار وربيت في احضان الألم . كنت في سالف الايام دمعة وها انا الآن بحراً واسعاً . هلم واسجدلي . ففي احشائي لاتوجد اصداف . انني اسحب غيوماً من الارواح. اني اجر اليك العقاب استيقظ . ان ارواح الجحيم تطلبك . لقد جعلت مني خشباً للامرة وحملتني احمالاً ثقيلة من المهانة .. وطرحتني على شواطىء غريبة وجعلت احتضـاري سخرية العالم وحفرت على اقدامي كل احسان الدنيا . افسح المجال ! افسح ايها الصخر لقد انتهت السكينة . انا الكأس الطافحة ، انا العدو العاتي انا جبار ينتصب امامك .

لقد جزع الصخر والموجه في اندفاعها جرفت هيكله الفارغ .. لقد غاص الجسد في اللجة وانطفأ وذاب كأنه قطعة من ثلـــج وهدرت الموجة في عبورها الظافر ثم سكن البحر .. لقد خيمت السكينة فوق ذلك المكان ولم يبق هناك غير انغام الموجـــة الهادية وغير علم سماوي يخفق فوق اللحد العميق .

مطران الروم الارثوذكس بحلب

الياس معوض

المقعد الخشبي

في جامعة دمشق — شعر كمال سلطان

على مقعد واحد
جلسنا نطالع عبر السطور
وما كان بيني وبينك الا حديث الضمير
وشمس الصباح ترش على دفترينا شعاعاً صغير
وحولي وحولك بعض الرفاق
يعيدون نسخ كتاب حقير
يحدث عن ملك تافه ، واهب
لشعب شقي ،أغاني الحبور ..
ولاحظت ان يديك تخطان خطاً
على لفظة الحب .. خطاً قصير
وان شفاهك تحكي ، تتمتم همساً خرير
وعينيك لاتلمعان
لضحك الاغاني ، لهمس العبير
صبيان ، قلبي وقلبك ، لايفضحان اصطخاب الشعور
اساءلتني عن حكاية عمري
تداعبني مغريات الغرور
اساءلتني عن ابي ، والدي
وكيف يكافح كل الشرور ؟
وامي واختي وعن اخوتي
يحبونني مثل هذا الشعاع المنير؟؟
تذكرتهم واحداً واحداً
وفي القلب شوق مطير ..
اتدرين انت مدارج لهوي
طفولة هذا الصديق الاثير
نسيت وما عدت اذكر كيف كبرت
لانك لم تسأليني عن العمر ، عن اي شيء صغير ..
جلسنا معاً ، مرة مرتين
شربنا سوياً كؤوس العصير
وكان الحديث عن الاجتهاد
عن الصرف ، عن بيت نحو عسير
وبعد ! ..
فماذا جنينا،وماذا زرعنا بهذي الصدور
أتخجل عينيك ان تلتقي بعيوني
أترهب ان اشتهي ان اثور ؟ !
عجيب .. كأنا نخبيء في مهجتينا
خيوطاً من النار .. تكوي الضمير

* * *

ونقرت نقرة حب .. فلم تنظري
كأنك لم تسمعيني
ولكنني قد فهمت السكوت
واخجل ان ادعي « لاتفهميني »
ألست الصديق الوحيد الاثير
ألست خيالي وجنح سفيني
أجوب المحيطات في لحظة
وأطوي الزمان بكف يميني ..
سواء على شاعر مبدع
عطاء العيون وبخل العيون
يقطع من قلبه الاغنيات
ويخلقها رائعات اللحون
يعيش ضميراً بكل القلوب
وجدول حب ونبع حنين
قصائده من تراب الحياة
ومن رحم هذي السنين
واحساسه موغل في الجذور
فاحساس آدم من حسه كاليقين
رقيق كزنبقة حلوة
عنيف كبركان نار دفين
شرايينه اطعمت من قلوب النسور
ومن كبرياء الجنون
وعيناه مأوى لوحي نبي
ومأوى إله القرون ..
كعينيك نبع لابداع سر الفتون
تخاف العطاء وتهوى العطاء

وبعد تعيش كلحن سجين
احدثها عن جفاف حياتي .. وعن لذتي وبجوني
واحكي لها انني لا انام
اروض حرفي بعنف ولين
واني احن الى عالم
نعيش معاً فيه فوق الظنون
واني .. واني انتهيت الى اجرفي
احدثها عن خفي شؤوني

* * *

أيرضيك أنّا على مقعد
ومابيننا مثل مابين نجمين او نجمتين
اجيبي .. فلما نزل ها هنا
على مقعد واحد جالسين
وشمس الصباح ترش على دفترينا معاً رشتين
وحولي وحولك بعض الرفاق
يعيدون في دقة صفحتين
أجيبي .. واي نداء اجبت
سوى ان تردي على كلمتين
« نعمت صباحاً » « نعمت مساء »
ويبقى الذي بيننا
مثل مابين نجمين او نجمتين
فأجمل ماعشت من امسيات
بلهوك ليلا مع الحلمتين
بأشهى امانيك .. لا تذكري
باحساسك البكر بالناهدين
بتسريحة الشعر ، شرقية
بصفو البحيرات في المقلتين
اما تحلمين بأن نلتقي وحيدين في غرفة عاشقين
نميس على نغم هادئاً ككأسين بالخمر ممتلئين
عجيب سؤالي
بأكثر من قصتي تحلمين
بأكثر من رعشة الشفتين

* * *

تظنين أحلى المنى ان نعيش
نشال الحرير وخف القصب
ويسأل عن سهرة حلوة
نذوق النبيذ بكأس الذهب
ونرقص حتى تكل الضلوع
ويتعب حتى شعور التعب
تودين لو ينقضي عمرنا
كشلال حب جرى وانسكب
نهيم مع الحلم في رحلة ربيعية فوق جنح الشهب
تودين ياجارتي
لو نرود جزائر مالامستها انامل رب
بألف شراع
بألف جناح
يداً في يد
وقلباً لقلب
وتنسين أنّا هنا قاعدان
على مقعد واحد من خشب

كمال سلطان

ياسعد الله .. اننا نريد ان نتعرف على جميع نواحي مجتمعنا العربي ، فنبارك الظواهر التقدمية منها ،ونلعن الرواسب الرجعية فيها ، ونحارب الافكار المتخلفة وندمرها نهائياً . ياسعد الله .. لابد من اجراء كشف دقيق وشامل لنعرف مواضع العلة ونقاط الضعف فينا ، وعندئذ نبدأ العلاج والمداواة والتطبيب ..

سعد الله ... والجزائر ... والغزل

بقلم : محمد العيساوي الجمني من تونس

توقفت مشدوهاً حين وقع نظري على عنوان « الغزل في الشعر الجزائري » للسيد ابو القاسم سعد الله في أحد أعداد مجلة الآداب الغراء . وتساءلت : مامناسبة الغزل وظروفنا المعاشة الحاضرة في الجزائر الداميـــة الجريح ؟؟ وهـل وقتنا ، وظروفنا ، وحياتنا ، وكفاحنا تتناسب مع ذكر الغزل سواء نظماً كان او حديثاً ؟؟ وتساءلت المرة الثانية – او الثالثة لا أدري – في دهشة واستغراب وتعجب : هل بقي في قلوب ادبائنا العرب – شعراء او كتاب قصة او مقالة – مكان ولو كان ضيقاً لهذا اللون من الادب والحديث ؟؟!

كيف يتحدث أديب عن هذا اللون من الادب ، وبلاده تشتعل ،تحترق ، تباد ، تساق الى الهاوية ، الى الفناء؟ والمواطنون هناك – في الجزائر – يلاقون الموت ، ويتصارعون مع الفناء، ويقاومون الدمــــار ، والتخريب ؟ ويستميتون تحت انواع التعذيب وأساليب الاستعمار الفرنسي الكريه ؟

وابو القاسم سعد الله عربي من الجزائر ، ينتمي للتعليم الجامعي ، وينتسب للطليعة الواعية المثقفة وواجب سعد الله وأمثاله – وبلادنا العربية في معركة – واجب كبير ،وخطير جدا ، وانا لا أستهين بقيمة اليراع ، ولا احتقر خدمات القلم، ولاصولات الفكر وبنائه في دنيانا الصاخبة بضجيج المعارك ، وظروفنا الكفاحية ، ونضالنا المستمر ، وجهادنا المتتالي بلا انقطاع ولا هدنة .

لقد صار أدباؤنا يعيشون قضايا شعبهم في مختلف زوايا الوطن العربي الكبير . وصاروا ينفعلون بالاحداث العربية المتجددة دائماً ، وبدأوا يحدون القافلة العربية السائرة ، على طول الطريق ،وصعوبة المسالك ، وكثرة المنحنيات والتعاريج ، والاشواك .

وصار أدبنا ادب رسالة ، وادب هدف ، يسعى لغاية ، ويرمي الى مأرب ونتيجة . فــــرأينا الشعراء ، والقصاص ، والنقاد ، وكتاب المقالات ، ومحرري السوانح والمقدمات يهتمون بالجزائر ، المكان الذي يدفع الآن ثمن الاستقلال ، ويكتب وثيقة الحرية بالدمآء ، والدموع ، والاشلاء، وعرف الادباء الواجب الملقى على عاتقهم بعد ان اصبحت الجزائر شغلهم الشاغل . فمنهم من عمد الى الفناء والحداء للابطال المكافحين في صبر وبطولة ، ومنهم من فلسف الثورة العربية في الجزائر فلسفة متسعة قدلا ينقصها العمق ،ومنهم من كتب للتشهير وفضح أساليب الاستعمار في قتــــل النسآء ، والاطفال ، والشيوخ ، وترحيل المواطنين ، ودفعهم الى مغادرة ارضهم وديارهم ، وضمهم الى قائمة اللاجئين في تونس او مراكش ..

وانا لا أقصد من كلمتي هذه فرض وتطبيق « نظرية الالتزام » على كل أديب عربي . لان القضية عندي وفي عقيدتي قضية ضمير ، تنبع من الداخل ، انها معرفة واجب ، وأداء رسالة . وانا أعرف ان لكل قاعدة شذوذا كما يقول النحاة ومدرسو القواعد . ولكنه آلمني جدا ان كان الشاذ اديباً ومن الجزائر بالذات ، وان يكون الأخ بلقاسم سعد الله بالضبط . وانا رغم معارضتي الشديدة له ولغيره في كتابة مثل هذه المواضيع – ولم يكتبها احد قبله في هذه الظروف حسب ما أعلم وحسبما قرأت – بالرغم من كل ذلك سأعلق على هذا الموضوع « الغزل في الشعر الجزائري » وأرى هل نجح الاخ سعد الله منهجياً في الموضوع ام لا ؟؟

يقول الاخ سعد الله في معرض نفي الغزل عن شعراء الجزائر مايلي : « ان الشعراء لم يتناولوا الغزل فيما طرقوا من موضوعات » وفي الحقيقة ان هذا الحكم غير صحيح لسببين اثنين هما :

١ – لقد اطلعت شخصياً على مسودات لديوان شاعر الجزائر الكبير محمد العيد ، وفي سنة ١٩٥٤ فقط . وقد قرأ

علي الشاعر اكثر من قصيدة في الغزل والحب . وقد أشرت الى هذا في حديثي المنشور في جريدة « الزيتونية » التونسية ١٩٥٤ عقب زيارتي للجزائر والتقائي بالشاعر المذكور .

٢ – يعرف الأخ سعد الله ان الشعر العربي في الجزائر سواء المنظوم باللسان العربي اوبالفرنسي لازال بين دفاتر أصحابه حبيساً لم ير النور بعد . وبذلك لايمكن لنا موافقة سعد الله على خلو الشعر الجزائري من الغزل . وهو يرجع فقدان الغزل في شعر الجزائر الى أسباب اجتماعية . او من بينها العامل الاجتماعي كظاهرة التدين ، والتقاليد ، والعادات . وهذا في اعتقادي قدر مشترك في كافة نواحي الوطن العربي . **والشابي الذي ساهم في تحطيم هذه العوامل تخرج من المعهد الذي تخرج منه شعراء الجزائر . محمدالعيد ، مفدي زكرياء ، واللقاني ، وابن باديس ، والسائحي وبوقطاية ، وصالح الحزفي ، هو معهد« الزيتونه » بتونس** . ويتحدث ابو القاسم سعد الله – وهو من خريجي المعهد المذكور – عن العامل الاجتماعي فيقول : « وانا حين اتحدث عن هذا العامل لايعنيني الحكم عليه بالرجعية او التقدم » وهذا منطق غريب جداً . كيف لايعنيك الحكم برجعيته اوتقدميته؟؟!

وبعـــد أن يذكر « محافظة » الشعب ، و « تدينه » و « تقاليده » و « عاداته » يقول : « ولعل هذا يفسر لنا قلة الطفرات والشذوذ الفكري في الجزائر » . فسعد الله حينئذ يعتبر ربة التقاليد البالية العفنة ، والعادات الفاسدة ، والخرافات والأوهام المنسوبة للدين – كذباً وبهتاناً – وعبادة الاحجار ، والتداوي بالتمائم ، يعتبر هذا كله « طفرات وشذوذاً فكرياً » . هذه نغمة وعاظ ، وخطباء مساجد ، وتهديد أشباه رجال الدين . هل اصبح سعد الله حادياً للطابور الرجعي المتخلف ؟ .

هذا ما أرجو ان لايكون .. ثم يزيد سعد الله في التدليل على مايقول : « ونحسب ان هذا الجو الثقافي الجاف المتباعد لايسمح ولن يسمح بالاشراق الذهني ، وانعاش العواطف التي تصقل اداة الشعر وتوجهها توجيهاً ناعماً غزلياً كما تفعل الثقافات الحديثة » . وأنا اعتقد ان الشعر الغزلي هو أقرب الى الثقافة التقليدية القديمة منه الى الثقافة العصرية الجديدة فمــا رأي الاستاذ سعد الله ؟

وفي سبب آخر يضيف الاخ قائلاً : « فالترف ، والمرح ، والفراغ وغيرها من الالفاظ الناعمة لايعرفها الجزائريون » وهذا كلام مثقل بالمبالغة والاغراق في الباطل . اذ لو كان الامر كما ذكر الاخ لما بقي الاستعمار الفرنسي مستعبد الشعب العربي في الجزائر اكثر من قرن وربع قرن من الزمان . ثم مامعنى هذا التطرف في تصوير عرب الجزائر . هــل خلق الجزائريون من طينة غير طينة العرب والبشرية عموماً ؟ وكل الشعوب المستعبدة والمغلوبة على أمرها متى هجرت المرح ، والترف ، واتسمت بالجد وعرفت نفسها وغيرت مابها لم تعد فيها الظاهرة اللعينة « قابلية الاستعمار » كما يقول « بن بني » ..

واخيراً ، وبعد اخذ ورد ، ولف ودوران يعترف بانه وجد « غزلاً » عند شعراء الجزائر الذين ينظمون شعرهم باللسان الفرنسي ... ونحن نقول له : كن مطمئناً فستجد نفسك بعد استقلال الجزائر ، وهو آت لاريب فيه – وعلى قريب اذا شئنا وشاء الله – متخوماً بهذا اللون من الشعر ، وذلك عند طبع النتاج الشعري السجين في دواليب ناظميه . والآن ، وبعد هذه الجولة القصيرة مع مقال : « الغزل في الشعر الجزائري » أقول للأديب سعد الله : أكان ينبغي عليك ان تتعب نفسك في بحث الغزل والمتغزلين في جزائرك ، و « جان بول سارتر » واحرار الفرنسيين يكتبون عن التعذيب ، ويفضحون أساليب حكوماتهم تجاه شعبنا العربي في الجزائر ؟؟ اليس علينا – احياناً – ان نتعلم عن اعدائنا ونستفيد من بعض اعمالهم ياسعد الله ؟؟. ان الثورة العربية في الجزائر تنتظر منا اشياء كثيرة ، وكثيرة ، نحن اصحاب القلم ، ان القلم له خطره في دنيا الدفاع عن الحمى ، واخراج الدخيل منه .

وطبعاً ، انا لست ضد كتابة الابحاث الغزلية وماأشبهها . ولكني ضد نشرها في وقتنا الحاضر ، وفي ظروفنا المعاشه بالذات . ويؤسفني هنا ان أعلن ضعف مشاركة « ادباء المغرب العربي » في هذه المعركة ، معركة الجزائر الذبيحة . وأنا اعتقد ان ادباء العرب على مختلف جهاتهم ، وامكنة سكناهم مطالبون بالمساهمة القلمية في الموضوع . كما اعتقد ان نصيب الادباء في « المغرب العربي » من المسؤولية اوفر بكثير . واذا كان من المعقول ان نعذر شعراء تونس ، ونبادر الى التخفيف عليهم من هذه المسؤولية لانهم – والحق يقال – مشتغلون بتخليد مآثر رئيس جمهوريتهم في الشعر والنثر . وان اعمال الرئيس الجليل – رئيس جمهورية تونس – تجعل شعراء تونس يوقفون شعرهم عليه . ولم يبق لهم من الوقت مايجعلهم يلتفتون الى الجزائر . فاني ابحث عن اعمال ادباء مراكش وأين هم ؟ وماهو موقفهم؟؟

وبعد فانني باسم « الثقافة » وقرائها أدعو الذين لهم قدرة على التعريب أن يترجموا ما كتبه ويكتبه الجزائريون باللغة الفرنسية . لان أدبهم ، ادب غني ، وثوري ، ومخلص . أمثال محمد ديب ، وفرعون ، والاشرف ، وكاتب ياسين وغيرهم من ادباء النضال ، والتضحية ، والفداء ، والجهاد بالقلم ، والنفس كذلك ..

تونس : محمد العيساوي الجمني

نحو الامام

للشاعر التشيكي : يان نيرودا

في زمان عاصف نحن ولدنا
وخطانا لم تزل تجري بغيم عاصف
وبفخر لم نزل نمضي لأهداف شريفة
ولغير الشعب لن نحني الرؤسا

* * *

نحن ندري اي هول سوف نلقى في الطريق
انه رعد السماء ... انه عصف الثلوج
غير انا سوف نمضي دائماً نحو الامام

* * *

خل عنك النوم واحذر انت ربان السفينه
واغتنم في كل يوم رؤيه الصبح الجميل
فالنهار الحلو لايولد يوماً مرتين
فامض دوماً بعناد وبشوق للامام

* * *

هذه ماخرة الشعب سنحميها بيقظه
نحن الواح بها .. نحن الحديد
واذا نحن احطناها بحب وتفاني
فغداً يسعد شعب وغداً تحلو الاغاني
وغداً نمضي بصدق وبعزم للأمام

* * *

واذا لم تك تدري ماوراء القدر
فاله النصر مازال هنا
ابداً حياً يقوي عزمنا
ولنا ارض فسيحة
سوف تحوي كل نصر قادم
وسنمضي باباء وبفخر للامام

* * *

واذا الحرب تعالت
فلنا صوت مدوي
سوف يعلو بالاغاني الوطنية
واذا لم يك في الارض حديد للسيوف
فهو يجري في العروق الحمر ، يجري في الدماء
ابداً نمضي بعزم وبصدق واباء

* * *

لو رأى الانسان يوماً بين كفيه النجوم
فهو لايقنع بل يبغي المزيدا
فلماذا انت راض بالمآسي والخنوع
شعبي الغالي تقدم ابداً نحو الامام !!

ترجمه

رودولف قيسلي ــ نصير رفعت

بلادي

للشاعر : وديع سمعان

انا والنجم والوديان لاتخبو اغانينا
زرعنا في الذرا وردا وفي الاعماق نسرينا
وفوق الليل والاصباح عطرنا مآقينا
وجررنا ذيول الزهو في ساحات حطينا
انا من نفحة البيداء من سقيا اراضينـــا
انا من امة شقت الى الامجاد ماضينـــا
ودقت في العيون الزرق صمصاماً وسكينا
انا من امة العرب التي سادت ملايينـــا

* * *

بلادي ياحنين النفس يامهوى امانينـــا
غرامي في رباك الخضر في نجوى مراعينا
اضم الماء والاشجار والانسام والطينا
وادعو الله ان يحميك من ايدي اعادينا
بلادي منبع الخيرات ، الهام التقى فينا
بلادي ياصفاء الفجر ياحلى اماسينـــا

* * *

بلادي لن يمسوا منك شبراً او يميتونـــا
عرفنا فيهم الشيطان والخداع والدونا
وتجاراً اذلاءً ارادوا ان يبيعونـــا
لقد صاروا لدى الاحرار في الدنيا مساجينا
بلادي ثورة الشعب الذي دك السلاطينا
وزلزل هيكل الطغيان واجتث المرابينا
غداً ياامتي تسمو الى العليا عوالينـــا
وتشرق ارضنا الغراء الباناً وزيتونـــا

اللاذقية ــ وديع سمعان

الكابوس

قصة جديدة بقلم : عبد العزيز هلال

بدأت النوبة ..

وانا ملقى على رصيف المقهى المعتاد ، الى مائدة فوقها نرد مهمل ، يقابلني صديق يهز احدى ساقيه بحالة آلية جدا ، وبدون توقف . وفي نهاية كل دقيقة يتمايل جسدي فوق الخشب ، وامد نظرة استغاثة الى الذراعين الدقيقين لراصدة الوقت ، وفي كل مرة أفلت زفرة ..

تذكرت ابي . سألني مرة سؤالاً ، ابان انتظارنا العشاء أمام غرفة الطعام – فأجبته بما خطر لي من كذب . لشدما أمقت الكذب ولكنى اكذب اكثر مما استطيع الصدق . الكذب ذو حلاوة تروجه . ابي يحبني جدا .. يريد أن يكون صديقي . على أنه حينما يجلس معي يصمت .. انه لا يعرف ماذا يقول لي . اما انا فأفقد ذاتي امامه . عندئذ يفتح المذياع ، حتى اذا ماعثر على صوت ينقل الانباء السياسية ، علق عليها ، فلا ازيد عن ان اكون صدى واضحا لكلماته ، وتنتهي الجلسة بعد قليل ... تنتهي الازمة . يخرج هو خائبا الى غرفة الطعام حيث يريح صدره في اذن امي . والبث انا لاسترجع ذاتي من بطن تبغه أمتص سمها في رغبة شرهه ..

لي صديق حملوه مريضا الى حلب ، لا أظن انه سينجو :

ولم يصدق ابي بالطبع ، انه يعرف انني اكذب عليه دائما . وانسل الى غرفة الطعام بسكون فتحت أذني بفضول ، فوصل لي صوت أمي تجيبه بأنني كثيرا ما أبدو في مثل هذه الحالة . تأوه أبي بصدق مرير عجيب !

حياتنا كلها عجيبة ياأبي . الحق ان ليس ثمة ماهو عجيب اطلاقا . أليس لكل شيء سبب على الاقل – أين العجب اذن ؟

ولكن هل تستطيع ان تفهم ياأبي ؟ انك لم تعان الضجر هل عانيته ؟ الضجر . أجل .. هذا كل شيء . كلمة بسيطة وتافهة . ولكن أليست كل الكلمات بسيطة وتافهة – كلمة الموت ، مثلا ، او الحياة ؟.. نعم .. قبل ان نعي معانيها .. وحين نفعل .. كلمة الضجر تستحيل الى .. الى .. كابوس ضخم ، له ألف ذراع وألف أنف ، وفي صدره ساعة عاطلة !

صديقي لايزال يتحدث بموضوع التخمة والفاقة وأنا لا أعي ولكني أسمع . لشدما يسئمني المقهى !.. السأم ، الملل .. الفراغ لماذا أردد هذه الكلمات بكثرة ؟.. قيل لي انه من تأثير المطالعة أحب المطالعة . اثق بها الى غير حد . رغم ذلك اعاني لحظات سأم في جوها .. عدت الى السأم من جديد ! لامناص من ذلك ماذا اقول ؟ اعتقد انني اعبر عن افكاري . هذا كل شيء . نحن نطالع وندفع ثمن مطالعتنا لأننا نريد معرفة الاسم الحقيقي ، للشيء الحقيقي ان نعبر بصدق ووضوح ..

أف ! أضرع اليك ياصديقي .. كف عن هذا .. نهضت متمطياً .

– الى أين ؟ الوقت باكر .

الوقت ؟ أنت لاتعرف الوقت ياصديقي . أنت لاتحس الوقت . الوقت اكبر مشكلة واجهتني !

عدوت بلا اتجاه . غرزت جرمي في زحمة بشرية على باب السينما . « ابن عمري » .. فيلم عربي ؟ أف حسبي انني مريض بالضجر . لماذا لا يصعد الفن لدينا الى مستوى الادب على الاقل ؟ جرب ان تشاهد هذا الشريط على كل حال . انه رواية هذه المرة .. رواية حقيقية . هراء !

سألت شاباً اعرفه ، عن اشرطة دور العرض الاخرى . عربي آخر .. ثم ؟ نفس ماعرض بالامس . اين اذهب اذن ياالهي !

جررت قدمي على الاسفلت .. اشعلت تبغة ورحت التهمها

حاولت التفكير بوضوح ..

ولكن هل اذهب الى البيت حقا ؟

دخلت البيت ، جلست الى المذياع ، اجريت الابرة يمينا ويسارا ، وقلبت الموجات الثلاث اكثر من مرة ، بصقت على الجهاز ! اشعلت تبغة . التهمتها . فتشت عن قصيدة . خرجت اذرع الغناء ناديت شقيقتي . تباطأت . صرخت بوحشية ، وركضت مذعورة . اريد تناول العشاء . اكتشفت – في حجرة الطعام – شيئا فجر صدري . انبثق بركان هائل . شتمت ربة البيت – امي – صفعت اختي . رفست الكرسي . امي – في حجرة مجاورة – تدعو الله لي باللعنة والموت بطريقة مريعة ، بسيارة . امي تحب موتي دائما بسيارة ، ولا اعرف الحكمة في ذلك . وتردد انني ابن خنزير . اختي تبكي بميوعة . بكاء هذه وصراخ تلك يسخطاني على نفسي . صرخت انا الآخر ، وصرخت ، ضربت اختي ثانية . انزويت في حجرتي ، استلقيت على الفراش تقلبت عليه حتى منتصف الليل .. افضح نفسي ، امتص دمي افترس علبة التبغ قطعة فوق قطعة ، العن حياتي ، العن نفسي

حتى اليوم لم اسمع منها كلمة واحدة اضافية ؟ كلما التقينا طفح وجهها بسرور اللقاء ، وناجتني عيناها ببوح عذب يسعدني ساعة . ثم حين أهمس لها بتحية قلبي ، يستبد بها ذعر غريب وتمضي بدون كلمة . فكرت ، انها مصابة بعقدة نفسية . انها تخاف الجنس الآخر خوفا شاذا ، انها في الثامنة عشرة ، مثقفة وتبدو متحررة اكثر من الاخريات في مثل طبقتها الثرية وثقافتها وسنها ، فاذا لم يكن استنتاجي صحيحا فهي باردة ولكن لا . هذا حدس ظالم ولايقوم على اساس .. انها أنثى مكتملة . اما مريضة ، فصحيح . ارضاني هذا التفسير . كتبت لها مرتين .. لن يضيرها ان ترد ولو بكلمة . قراءة رسالة وكتابتها امران بسيطان ، لارقيب هناك ولا أكلة لحوم بشرية لم أتلق الرد . اخيرا أزمعت تركها ، تركتها ...

أشعلت تبغة . بدأ الجو يبرد . لايكاد يبدو في هذا المكان من شاطىء الفرات انسان . ثمة تجمعات غيم في السماء توحي بالريبة . هذا الربيع مشئوم . كلما زاح ظل الغيم اشعة الشمس او النجوم ، ثارت العواصف الرملية .. وكلما تقدم ديري - من قبل - الى وظيفة مهمة ، رجع حسيرا .. تراخوما في العينين . بعد هذا الصيف سيحرم شبابنا الجدد حتى من الوظائف العادية وسيعمى قسم من الشيوخ . يقولون ان الاله غاضب علينا . جعل من شتائنا صيفاً ، وها هو ذا يجعل من صيفنا شتاء . الاله غاضب اذن ؟ اناغاضب ايضاً . غاضب حتى القهر . على نفسي وعلى الجهل والقذارة والعفونة والكذب والزيف والذباب الذي يزاحمنا على كل شيء ، وعلى المقهى وافلام القاهرة واخي عدالة والاطفال الذين يلاحقونه بالحجارة وقحبين سمجين ، وعلى صفية ، وساق صديقي التي تهتز باستمرار .. أف ! يالها من صورة بشعة صورة المجتمع . كان يجب ان اكون رساماً .. أنا فنان غير مختص .. وهذا عيبي الذي احتقر نفسي من اجله .

أف ! اين اذهب ياإلهي ؟! كفى ! كفي يانحلاتي الصغيرات ! حسبكن طعاما اليوم . لشدمانتعسني شراهتكن !

ياإلهي ! . رحمتك !

آه ! بدأت اختنق ...

أريد ان اتحدث الى اي انسان ، وان كان حديثاً تافهاً .. اكره التفاهات حتى الموت . انا انسان تافه .. والا كان يجب ان اكون مع صديق الآن ، اي صديق ... نتبادل الحب ، نضحك ، نتعارك حول قصيدة او رواية ، حول ماركس وسارتر نبحث عن امرأة سمراء او شقراء سيان عندي كلتاهما الآن .

اين اصدقائي ياترى ؟ احدهم في دمشق يحوم حول شخصية خطيرة رجاء عمل بعد ان ترك الجيش . وآخر في القامشلي يحبر جريدة هناك بدمه . وثالث يقبع الان في حجرته الخاصة يحلم بالشهادة - الفحص بعد اسبوعين كما اظن - ولكنه لا يقرأ . . تعود منذ صغره على نيل المطالب بالتمني ، وان لم ينل مطلباً واحداً حتى اليوم . ورابع في مقهى الانس حيث تركته يهز ساقه باستمرار .. أف .

اين القمر ؟

ان صفيه لاتحبني ! انا لااحب صفيه !

شقيقتي تريدني ان اتزوج صديقتها رياض . ماأضحك هذا ! خصرها يزن خصرين مثل خصري .. انا اكره السمينات ، على ان شقيقتي لها وجهة نظرها في هذا الاختيار .. « انها صديقتي الوفية جدا جدا » . وهذه كل مؤهلاتها . ابنة خالتي تريدني ان اتزوج شهادتها العالية ، وهي لا تملك غيرها . اما والدي ، فقد اراد ان يخطب لي موظفة رآها مرتين في المطعم الذي كان يأكل فيه في دمشق . كل مايعرفه انها جميلة « تستحق ان تكون العروس المطلوبة » لابنه العزيز . أف ! ياللحيرة ؟ وحدتي انتحار أنا - بكل بساطة - انتحر . أجرم . هي ذي الحقيقة ! اجل . يجب ان اعري نفسي امام عيني على الاقل . يتعب المرء ليكون مثقفا ، رجاء ان يكون انساناً .. ان يتفوق على ذاته ، عندما يحقق جزءاً من رغبته .. عندما يتعرف الى برغسون ، هوسرل سارتر ، ماركس ، ديوي ، مل .. عندما يجالس هؤلاء ، يتعلق - بطريقة ما - في الهواء .. هالكذابين الارض والسماء . يتخبط في النور اكثرمما يتخبط في الظلام ، يتعرف في النور الى متاهات لانهائية ، لم يكن يعاني جحيمها في الظلام . وبعد قليل يعلن الطبيب بلطفه الزائف وبرودته الرهيبة : انت مريض . . . أعصابك مرهقة .. تسرع في القلب ، واقلباه ! منذ بضعة شهور وانا محروم من الشاي والقهوة . اما السهر فآخر ما استطيع اجتنابه ، عيناك .. هل هي ايضاً .. ؟ نظارات طبية والا .. مفهوم مفهوم ياسيدي . منذ ايام حملني اخي في عربة - في منامتي - الى عيادة الطبيب . ماالجديد ؟ الكليتان . رمل في الكليتين . كل ذلك ولم ازل في بداية الطريق .. اي طريق ؟ اردت ان اقول طريق الحياة بعد ايام قلائل سأتم السادسة بعد العشرين ، لا الاربعين ولا الخمسين ؟

ياللحياة ! احب الحياة . احبها بكل جارحة في . لذا اصر على العيش اصراراً عنيداً . العيش ؟ اليست الكلاب تعيش ؟ ..

والذباب يعيش ايصاً . اريد .. ان احيا . هذا حسن .. ان احيا . تلك هي المشكلة !

الغبار آخذ بالتكاثف . يجب ان القي بنفسي في أي مكان ذي جدران . ليت المطر ينزل . الغيوم تنبىء عن مطر .

السوق معتم تقريباً . المقاهي فقط تعلن عن وجودها . لو التقي بانسان اعرفه فأحدثه قليلا !

في تلك الشرفة امرأة لذيذة . ارملة شابة .. تسهر وحدها انا وحدي . وحيدة .. وحيد ! انها لاتعاني الحرمان حتى الاحتراق عزوبة سنة ولاترمل يوم . حقيقة لم يقلها ارسطو . احد البسطاء قالها . انا لااعاني الحرمان مجرد معاناة انه انا نفسي اذا كان لكل حياة كائن موضوع ، فالحرمان موضوع حياتي. الحرمان جعلني احب صفية المحرومة من الجمال والحب . الحرمان نفسه جعلني افكر منذ ليال بدلال تفكيراً متواصلا متعباهو الحماقة . انها تقضي لياليها في شرفة محاطة بستار ، ترقب في غمرة عذابها اجساد الرجال تتحرك في اتجاهي الطريق . انا ايضاً امر تحت الشرفة كل يوم ، ولكن ليس باللامبالاة التي يفعل بها غيري ، انا الوحيد — كما اظن — الذي اكتشف في مصادفة عابرة عينين جائعتين تمتدان في لهفة ضارعة من فوق ستار هذه الشرفة ، منذئذ — قلبي مليء بحنان بكر — اشعر بالعطف عليها ، منذئذ — كلما مررت من هذا المكان — انفخ صدري وأرفع رأسي لعلي اضفى على جسدي النحيف مظاهر القوة ! نساؤنا يعشقن القوة سواء في الجسم اوفي الجيب . امد انا الأخر نظرة لهفة ضارعة من فوق الرصيف المقابل . امني النفس بالتقاء بين النظرتين . باشتباك بين اللهفتين . ثم — هكذا افكر — يتلوان تتعانق مأساتي ومأساتها . وعلى الشرفة ألف سلام !

صعدت درجات سلم غرفتي واحدة واحدة . في منتصف السلم وقفت اتنفس كشيخ واهن . الضوء وخز عيني . انا فراشة انسانيتي ضوء رائع . أعشق الضوء . أحب جاندارك واحب جميلة . ولكنني لن احب صفيه او دلالا وان رغب قلبي في هذا مسكين ساذج ، عاطفي الى ابعد حد - اعني قلبي ! جاندارك وجميلة فراشتان رائعتان شغلهما الضوء عن كل شيء ، صفية ودلال فراشتان لطيفتان شغلهما الزهر عن كل شيء . انا واثق انهما تمارسان نكش أنفيهما .. أف ! يالهي ! ألن تفك هذا الرباط عن روحي بعد ؟

لن أستطيع النوم ، برغم التعب ، النحلات تعمل بنشاط العرق يغطي جبيني ، بعثرت ملابسي فوق الأريكة ، ارتديت مناميتي . الساعة تجاوزت الثانية عشرة ، لعنت دين مخترعها. متى تبزغ الشمس يالهي ؟! فتحت شباك النافذة .. الهواء بارد جدا ارتعش جسدي . قرأت قصيدة ، فقصيدة .. فقصيدة . ألقيت بالمجلة جانباً ، اف روحي تصرخ مستنجدة .. انها تختنق . انا عاجز عن المساعدة .. عاجز تماما .. اكره العجز .. أمقت عجزي ! يجب ان اجلب المذياع من حجرة الجلوس ، الموسيقى ستساعد أعصابي على مقاومة النحل الطفيلي ..

الساعة تقارب الثانية . الوسادة تندت بالعرق . جسدي يتقلب سيخ كباب على جمر متوهج . طاقتي الجنسية تعلن عن نفسها بحدة مروعة منذ استلقيت على الفراش ، النحل لم يشبع لم يتعب ، أنا — بكل طولي وعرضي وحركتي اليومية بين العمل والدرس — أتخم بأكثر من رغيفين مقسمين على ثلاث وجبات يالهذا النحل ! عانقت نفسي بقوة ، عضضت الوسادة .. رغبة قوية في البكاء .. الدموع تريحني .. انها علاج ناجع .. اكره هذا العلاج .. الدموع .. انها في نفس الوقت — تقرر شيئا رهيبا مأساويا ، فظيعاً .. ضعفي !.. ذلتي .. صغاري .. انا الانسان!

تشبثت بالمذياع مرة أخرى .. عثرت على محطة تبث تعليقا على الاخبار .. المذيع بلهجته الامريكية جائع — كنحلاتي — يلتهم أحرف بعض الكلمات .. يحرمني من الفهم بهذه الطريقة ، أشعلت تبغة ، أخيرا .. موسيقى الجاز ، اخفقت الموسيقى الهادئة من قبل ..

انا لا أعرف الرقص ، ولكن موسيقى الجاز ترغمني على ان ارقص وانا جالس ، وأنا مستلق .. الزنوج كافحوا الانتحار بموسيقى الجاز . هاأنذا زنجي وسط حلقة كثيفة جدا من الزنوج الظلام يغمر حجرتي ، ليس ثمة زنجية ، وحدي رقصت ، رقصت رقصت ، رائحة العرق ملأت الحجرة ، النحلات ذعرن ، رقصت رقصت ، رقصت ، تعبت ..

تعبت جداً العرق اغرق جسدي . النحلات اختفين ، الحمى تعانق الدوار ، رفعت يدا تصافح المذياع مودعا الوحش ذو الالف ذراع ، سحب اذرعته مرهقاً ، ونام نوماً هادئاً بريئاً كطفل صغير ..

نسمات الصباح تتسلل من أسفل الباب ، تمسح على جسدي برفق كيد ملاك .. لتمنح نفسي السلام ..

دير الزور عبد العزيز هلال

الفنان عز الدين حمودة

ندوتنا اليوم مع علم من اعلام الفن العربي المعاصر . استاذ في كليـة الفنون الجميلة العليـا بالقاهرة . رئيس اللجان الثقافية في كلية الفنون . مثل الجمهورية العربية المتحدة في مؤتمر النقاد العالمي في ايطاليا .

ولد عز الدين حموده في القاهرة عام ١٩١٩ . فتح عينيـه على اب مهندس معماري ، وعاش حياة لم تعرف الحرمان او الجوع في اول الامر . احب والده وجعل منه صديقا وفيـا . وفي يوم عيد .. مات هـذا الصديق . فانقلب عز الدين الى متصوف يقرأ القرآن كل يوم لمدة سنة كاملة .. وبين عشيـة وضحاها وجـد نفسه مجبراً على ان يكون رجلاً يتحمل كل مسؤولية .

دخل كلية الفنون الجميلة ـ قسم العـمارة . وقضى ثلاث سنوات في الدراسة الاعدادية . فقد اجبرته امه ان ينهج منهج ابيه في العمارة . ولكن العلوم الرياضيـة حالت دون ذلك . فانتقل الى فرع التصوير وفي عام ١٩٤٥ تخرج عز الدين برتبة شرف امتياز وهي اول رتبة تمنح لطالب في الكليـة . تأثر في اول حياته بالمرحوم احمد صبري ويوسف كامل اذ ان يوسف كان لا يقيد الطالب . وهذا ما يحبة عز الدين . يقول اننا يمكن ان نجعل الطالب يخضع لنظام في الفن دون ان نقتل شخصيته .

الى اسبانيا

وبعد التخرج . اشتغل في شركة كبيرة .. ثم عمل معيدا في الكلية عام ١٩٤٥ . وفي عام ١٩٤٩ سافر الى اسبانيا بعد ان استفاد كثيراً من التجارب والخبرات التي اكتسبها في الكليـة خلال وجوده كمعيد فيها . وفي اسبانيا عرف كيف يبـدأ ، وقف ستة اشهر كاملة عن الانتاج . يتنقل بين فرنسا واسبانيا يدرس ويبحث ويناقش بعينيه وعقله .

وفي عام ١٩٥٢ ، شاهد الشعب الاسباني في مدريـد معرضا كبيراً لعز الدين . وقد قال النقاد عنه انه يتسم بطابع مصري رغم انه رسم في اسبانيا . ومن هنا كانت نقطة البداية وغادر عز الدين اسبانيا مصحوباً بدرجة امتياز في التصوير من جامعة سان فرناندو .

القومية باعث قوي

يقول عز الدين انه ما شعر بمسؤوليـة الوطن . وباعتزازه بقوميته العربية الا عندما ابتعد عنها فاندفع يعبر باسلوبه المحلي ليؤكد كيانه وكيان شعبه وقومه في بلاد اوروبا .

وبدأ في محاولة فهم الفن المحلي الشعبي لمصر وهضمه وتطويره وهو يقول : **هناك فرق كبير بين المحافظة على التراث القومي وبين ان نحافظ على مستوى معيشة متأخره للشعب في فترة من الزمن .**

ناقد عالمي

كان عز الدين في خلال دراسته في اوروبا لا يفتأ يقرأ آخر التطورات الفنية . ويتابع كل النظريات والمدارس التي تظهر . يقرأ باستمرار . يدرس الفن عمليا ونظريا .

وفي عام ١٩٥٧ اوفدته الحكومـة في مصر لحضور مؤتمر النقاد العالمي حيث اجتمع بكبار نقاد العالم هناك وقال : **عندنا ترات فني في الجمهورية العربية المتحدة يعتبر اساسا في دراسة الفنون الجميلة في العالم** ..حتى ان كبـار النقاد كانوا يقولون له انتم المصدر .

مجتمعنا في لوحاتنا

وبمناسبة النقد . سألته ، لماذا لا نرى البيئة والحياة الاجتماعية العربية بشكل عميق واصيل في لوحات فنانينا المعـاصرين كما نرى اثر البيئة في لوحات الغريكو ، او رامبرانت او فان جوخ ؟. هل يعود ذلك الى اننا ندرس الفن دراسة ونطلع على المدارس الفنية في العالم دون ان نعيش حياتنا ونفهم طبيعـة مجتمعنا ونعبر عنه بشكل مخلص وواقعي ؟.

قال من الطف الصدف ان هذا السؤال هو الموضوع الذي اقترحته للبحث في المؤتمر القادم للنقاد العالميين الذي سيعقـد في وارسو ١٩٦٠ .

هل الفن الحديث فن عالمي او محلي وهل من خلال نظرتنا المحلية نستطيع ان نقفز الى المجال العالمي . والواقع في رأيي ان الفكر الحديث اول مميزاته الانطلاق ، شعور الفنـان بحريته بعد ظروف طويلة من الاستعباد والسخرة التي كانت ايام الاقطاع . فالفنان المعاصر بعد انطلاقه من قيود الكنيسة احس بميل عجيب نحو الحرية . ومن هنا كانت ثورتـه على القيم والتعاليم الحرفية في الشرق عامة . ومدة التطور لم تكن

منتظمة ، ولم تتابع تطور الفن في اوروبا ، فمدة الاستعمار الطويله قتلت عند الشعب طاقته الابداعية ، قتلت عنـده طاقة التفكير الحر ، فكان من اول واجبات الفنان الحديث ان يوقظ الوعي بالحرية ،ويمحو امية التـذوق الفني ، بحيث تكفل للمواطن حياة كريمة .

وبعد مضي ١٠ او ١٥ سنة على جهود الفنانين الشباب الذين وقعت على عاتقهم مسؤولية التحرر الفنى ، ظهر الفن القومي ، فاليوم عندنا فن قائم بذاته يقول للعـالم : انا فن شرقي ، والسبب في ذلك تنبه بعض الفنانين الى ان القومية العربية هي روح وفكرة وحياة قبل ان تكون تكلفا او افتعالاً .

انا اعتقد اليوم لو اننا غربلنا بعض الانتاج الحـالي الذي اراد ان يخلد معركة بور سعيد لظهر عندنا رواسب كثيرة .. فيها المدلول السطحي .. يجب ان تمثل روح المعركة في كل بلد عربي بالاستشهاد بمعركة مثل بور سعيد . . دون تخدير الشعب واظهار البطولة فقط لمدينة واحدة انتصرت .. فالمعركة لاتزال قائمة في كل بلد عربي وبمعنى آخر . من الناحية التاريخية افرق بين نوعين من الفنانين : فنان ، ومسجل .. فالفنانـــون الذين صاحبوا نابليون الى مصر رسموا الحياة المصرية وعاشوها ورسموا مظاهرها ؛ بينما لم يذكر التاريخ الفني عنهم شيئاً ، في حـين عاصرهم في اوروبا رينوار .. ورسم الحياة التي عاشها .. وترجم احساسه بها . فكان فنانا خالدا . اما الذين جاؤوا مع نابليون لم يكونوا الا مسجلين فقط .

الفن الشعبي لمصر وسورية

– في سورية فن شعبي قائم بذاته وكذلك في مصر ، هل ترى ان تطوير هذه الفنون مع مقتضيات العصر الحاضر كفيلة بان تحقق الاهداف البعيدة التي يريدها الانسان المعاصر والتي لم تكن معروفة في الايام الاولى وفي الفن الشعبي القديم ؟ .

– اريد اولا ان احدد معنى « شعبي » فشعبي تعودنا ان نفهم مدلولها على انها نتاج الطبقة الكادحـة من الناس ، لان السادة لم يعملوا ، فكان هؤلاء النـــاس في مصر وسورية يزرحون لمدة طويلة تحت سيطرة الاقطاع ، والرأسمالية المحلية والاستعمار الاجنبي ، وقد تنبهت كل هذه القوى الى ضرورة اذلال هذه الطبقة (الثالثة) الى درجة لم يكن لها اي انتاج فكري او ثقافي ذو شأن ، ومن هنا كان فنها فنـا يعبر عن هذه الظروف السيئة من الجهل والفاقـة والمرض الذي عاشوا فيه .

اما بعد التطور الاجتماعى والدور الذي بدأت تلعبـه الطبقة العاملة في مصر وسورية واتاحة التعليم لهذه الطبقـات وانتشار وسائل الاذاعة وتغيير برامجها والسينما ، انتـ[illegible]ـر بعد كل ذلك ان تتعلم هذه الطبقة الى الدرجة التي يمكن بها ان تقدم تعبيرا رفيعا وقيما مختارة .

فالفن الشعبي في نظري هو الفن الرفيع عندما يخـدم الشعب . وليس الفن الشعبي في نظري هو الفن الذي ليس له اي قيمة فنية وانما نتج تلقائيا من شعب من مجموعـة من الناس جاهلة غير مثقفة وغير متذوقة .

وعليه فاني متفائل وكلي ثقة بالجيل الصاعـد من الشعب عندما ياخذ فرصته الكاملة في التعليم والحريـــة والتنور السياسي وحقوقه الاجتماعية من ان ينتج لنا فنا شعبيا متمتعا بالصفات الاولية للفن .

والفن الواقعي هو الفن غير المنقول صادر منك وانت في وضع صريح متنور . يجب على الفنـان الواقعي ان يدرس مجتمع وفلسفة عصره ويتنور بالنسبة لمحيطه ليكشف الواقع حوله . ومن هنا يكون فنه ، واقعياً .

– مارأيكم بالفن في الاقليم الشمالي ؟ .

ينقص هذا الفن الزمن . لقد انقطعنا مـــدة طويلة عن حضارتنا القديمة ، وفننا المعاصر لايزال في دور التكون .

ويلزمنا التاني ، وعلى الفنـــان ان ينزوي في عمله دون خلق الهالات من الضوضاء حوله ، وينتج .. حتى يشعر بمسؤولية الفن الكبري . وعلى الدولة باعتبار الفن المعاصر في شطري الجمهورية العربية المتحدة مسؤولية ايضا مضاعفة عليها ان تبذل الجهود وتوفر الفرص للجميـــع ليخـذ الفن العربي مركزه في العالم . وان السيطرة التامة على الفن في العـالم بيد اليهود . فالذي يقدر اثمان الصور ويرفـع الفنانين هم اصحاب صالونات العرض في اوروبـــا . واكثرهم اليهود والاميركان يشجعون اصحاب مذهب التجريد لانه يبعد الفنان عن الحياة والاحاسيس الانسانية فيجعل الجمهور بعيـدا عن الدنيا .

لماذا لاتخصص جمهوريتنا الفنية اعتمادات للفنانين والنقاد كما تخصص دعاية واعتمادات للاعبي الكرة مثلا؟ .

والفن في الاقليم السوري في مرحلة التكوين .. وبحاجة الى تبلور كاف .

القاهرة غازي الخالدي

قصة من تشيكوسلوفاكيا

كيف مات ارخميدس ؟ ؟

بقلم : كارل جابك

لم يكن موت ارخميدس بالشكل الذي ترويه لنا الكتابات من ذلك العهد . اجل لقد كان حقيقياً ان ارخميدس قد قتل عندما احتل الرومان مدينة (سيراكوس) ولكنه ليس صحيحاً من ان جنديا دخل بيت ارخيميدس ليسرقه بينما كان ارخميدس غارقاً في رسم بعض الخطوط البيانية . وليس صحيحاً ان ارخميدس لم يعر هذا الجندي اي اهتمام في بادىء الامر ، ولكنه دمدم بغضب عندما اقترب الجندي من اوراقه قائلا « لاتلمس دوائري » . اجل لم يكن هذا كله صحيحاً لان ارخميدس لم يكن على هذه الدرجة من الغفلة بحيث انه لم يشعر بما يدور حوله . وانما العكس هو الصحيح ، فقد كان ارخميدس عسكريا يقظاً بطبيعته وهو الذي ابدع الآلات الحربية للدفاع عن مدينة (سيراكوس) ، ومن الناحية الثانية فان الجندي الروماني الذي دخل على ارخميدس لم يكن سكرانا دخل ليسلب ويسبي ، بل كان قائداً طموحاً مؤدباً ولم يدخل هذا القائد المسمى بلوتسيوس كما يدخل اللص ، وانما دخل بادب ووقف على الباب مسلماً بتحية عسكرية وقال بكل احترام .

— السلام عليك ياارخميدس .

فرفع ارخميدس عينه عن اللوحة الشمعية التي كان قد رسم عليها شيئاً ما وقال :

— ماالخبر ؟

فاجاب لوتسيوس القائد

نحن نعرف ياارخميدس ، ان (سيراكوس) لم يكن باستطاعتها ان تصمد اكثر من شهر لولا آلاتك الحربية ، فبهذه فقط ، استطاعت مدينتكم ان تشغلنا لمدة سنتين . فلا تتواضع ياارخميدس ، لاننا نحن العسكريين نستطيع ان نقدر اهمية اعمالك بصورة دقيقة .

فحرك ارخميدس بيديه اشارة لعدم الاهتمام وقال :

— لم يكن ذلك بشيء يذكر . انها مجرد ترتيبات مكانيكية للرمي ، ان مثل هذه اللعب لاتملك اية قيمة علمية

فأجاب بلوتسيوس على الفور :

— ولكن لها قيمة عسكرية ، فاسمع ياارخميدس ، لقد جئت لادعوك للعمل معنا . فسأله ارخميدس :

— مع من ؟

واجابه القائد : معنا مع الرومانيين ، لعلك تعلم بان قرطاجنة في حالة تدهور ، وبماذا تنفع مساعدتك ، عندما نوقع بقرطاجنة ؟ ترى وسيكون من الافضل لو انكم تكونون معنا .

— ولماذا — دمدم ارخميدس — نحن اهل سيراكوس يونانيون فلماذا يجب ان نكون معكم .

فأجابه القائد — لانكم تعيشون في صقلية ونحن نحتاج اليها فسأله اخميدس :

— ولماذا تحتاجون اليها ؟

فأجابه القائد قائلا — لاننا نريد ان نسود البحر المتوسط فنظر ارخميدس الى لوحته وفكر قليلا ثم قال :

— آه — ولماذا تريدون ذلك ؟

فقال لوتسيوس القائد بكبرياء :

— من يسود البحر المتوسط يسود العالم ، هذا شيء واضح

فسأله ارخميدس : وهل من الضروري ان تسودوا العالم

نعم — هكذا اجابه القائد لوتسيوس واستمر قائلا :

— ان رسالة روما ان تسود العالم واني اؤكد لك بانها ستحقق هذه الرسالة !

فأجابه ارخميدس — ربما — واستمر في كلامه بعد ان ازال شيئاً مما رسمه على لوحته الشمعية قائلا — انني لن انصحك بذلك ايها القائد فان سيادتكم للعالم ستعني انكم ستحتاجون الى جهود كبيرة للدفاع عن مملكتكم . وستكون كل هذه الجهود بلا جدوى .

فأجابه لوتسيوس :

هذا شيء غير ذي قيمة ، فالمهم ان نصبح مملكة كبيرة

فقال ارخميدس باستخفاف

مملكة كبيرة ، انظر انني اذا رسمت دائرة كبيرة او

البقية على الصفحة (٣٨ و ٣٩)

حكاية شال

شعر هيفاء عربي كاتبي

اذا مررت بباب كوخ معتم
وسمعت من خلف الجدار الاخرق
صوت الصغار ..
ينساب عبر النافذات المحطمات
تهتز من برد الليالي الحالكات
يجهاضوء النهار
ويقال : دار ..!
قبر تجمع حوله الفا جدار ..
كل يؤلف كوخ انسان القبور
ولا قبور ..

* * *

واذا مررت بكوخنا المتجهم
وهناك اطفالي وزوجي تحتمي
وسمعت اصواتاً تؤثر بالحجر
اذ لاقمر ..
لاضوء ..
لاشيء مر ببابنا المنهدم
غير الالم ..
وتنهدات فلسفت معنى الالم
ووجاق نار
وسط الجدار
جمدت بداخله الليالي الموحشات
من السنين ..
وتمزقت جدرانه الف جدار

* * *

اذا مررت بكهفنا وسط الكهوف ..
وجرى وراءك طفلنا المرح اللهوف ..
في زيه المألوف ..
خرق منتفه عتيقه
واراد ان يعطيك شالا
يبغي الثمن ..
وحملت اليه شيئا من ثمن
فاعلم بأن الشال .. شال زواجنا
انا وابنة الجيران .. وهذا طفلنا
في زيه المألوف ..
وقلبه الملهوف ..
من يوم فارقنا الديار ..
تلك الديار ..
المؤنسه .. بالذكريات مقدسه
هو لايزال .
في زيه المألوف ..
وقلبه الملهوف ..

كيف مات ارخميدس

بقية مانشر على الصفحة (٣٧)

دائرة صغيرة فانها في كل الاحوال تظل دائرة فهنا ايضاً تكون حدود ، ولن تصبح دولتكم في يوم من الايام بلا حدود فهل تعتقد يالوتسيوس بان الدائرة الكبيرة اكمل من الدائرة الصغيرة ، وهل تعتقد بأنك مهندس ابرع اذا رسمت دائرة كبيرة ؟ فأجابه لوتسيوس قائلا ، انتم اليونانيون تحبون دائماً اللعب بالكلمات اما نحن فنبرهن على حقيقتنا بطريقة اخرى فسأله ارخميدس حالا ، وبماذا .

فأجابه لوتسيوس ، بالافعال ، مثلا فتحنا مدينتكم اليس هذا برهاناً واضحاً ؟ - صحيح - قال ارخميدس وحك رأسه بالقلم الذي بين اصابعه - نعم ، فتحتم سيراكوس ولكنها لن تكون على حالتها السابقة - فانها كانت مدينة كبيرة وفاخرة ايها الرجل اما الآن فانها لن تكون كبيرة ولا فاخرة ، فياحسرتاه عليك يا سيراكوس .

فقال لوتسيوس ولكن روما ستصبح كبيرة وعظيمة . روما يجب ان تصبح اقوى من كل مناطق العالم .

فسأله ارخميدس .

- ولماذا -

فأجابه لوتسيوس لاجل ان تصمد ، كلما كنا نزداد قوة يزداد عدد اعدائنا ، ولذلك يجب ان نكون الاقوى .

فتمتم ارخميدس ، انني يالوتسيوس افهم قليلا في الفيزياء واستطيع ان اخبرك شيئاً يتعلق بالقوة ، - فلكل فعل رد فعل .

اقلب الصفحة

وماذا يعني ذلك ـ سأل لوتسيوس مستغرباً .

فقال له ارخميدس ، هذا قانون يالوتسيوس لان القوة التي تؤثر تسبب قوة معاكسة لها ، وكلما ازددتم قوة ازداد استهلاك قواكم ، وسوف تأتي لحظة - فقال لوتسيوس متلهفاً ـ ماذا اردت ان تقول -

قال ارخميدس لاشيء اني لست نبياً ايهـــا الرجل انني فيزيائي بسيط واعرف ان لكل فعل رد فعل لا اكثر .

فقال لوتسيوس ولكن ياارخميدس ، الا تريد ان تشتغل معنا فانك لاتعرف اية امكانيات ستوفر لك في روما سوف تتيح له امكانية لصنع اقوى الآلات الحربية في العالم .

فجاء رد ارخميدس هادئاً .

ـ يجب ان تعذرني يالوتسيوس ، انني رجل كبير السن واريد ان اكمل بعص نظرياتي ، وكما نوى انني ارسم على هذه اللوحة شيئاً ماء .

فسأل القائد لوتسيوس مرة اخرى ، الا تشتهي ان تساعدنا في ان نسيطر على العالم ، لماذا لاتستجيب .

فتمتم ارخميدس وهو يحدق في لوحته ، عفوا ، ماذا قلت

فأجاب لوتسيوس . لقد قلت ان انسانا مثلك يستطيع ان يمتلك السيطرة على العالم .

فهمهم ارخميدس وقـــال مفكراً ، السيطرة على العالم لاتغضب ايها القائد ولكني اشتغل في شيء اهم من ذلـك في شيء لن يزول أبداً في شيء سيبقى بعدي

فسأل القائد ـ فما هو .

فصاح ارخميدس ـ انتبه ـ انتبه ، لاتلمس دوائري فهذا الشيء هو طريقة لحساب مساحة قطاع الدائرة السطحيـــة .

وحدثت مشادة بين ارخميدس والقائد اشيع بعدها بفترة متأخرة ان ارخميدس فقد حياته بالصدفة .

ترجمها : رودولف فيسلي

استاذا اللغة العربية بجامعة كارل في براغ وحسين العامل

طبعت في

مطبعة الجمهورية

دمشق -- بوابة الصالحية

بناية الحجار

هاتف ٢٣٥٥٦

ابنة الشرق

شعر : سعاد بكباشي

نازعي الكون في السمو مكانا
وارفعي التاج واحملي الصولجانا
غالبي الكون بالعلوم وبالفن
وان شاء فاغلبيه بيانـــا
ليس يثنيك في الحياة صعاب
كل صعب مع العزيمـــة هانا
ياابنة الشرق ياتماضر مجـــد
حقيقي السلم سوف يسمو مكانا
وابعثي من صدى تراثك يوماً
عبقرياً ومجـــدي الشرق شانا
انمـــا الشرق شرقنـــا يافرنج
قـــد بذلنـــا ولن تذل حمانا
نحن للسلم ثورة نحن نـــار
نحن موت وقد ملكنا الزمانا
قد اطحنا برأس كل خؤون
كيف نحن بطامع قد أتانا ؟
لن نرد على الرصاص رصاصا
سوف يكفي بان نمر البنانا
ياابنة العرب انت في بور سعيد
قد ملكت من الدنا الاذهانـــا
فابعثيهـــا مـــع المنـــاياامانى
يتباهى بهـــا الخلود حسانا
وارسليهـــا فأنت ام واخت
نهضة العـــلم وارضعيها الحنـــنا
انمـــا الأم شعلة الحق في
الدنيا ومجـــدها قـــد تدانى
فـــاحملي النوار مشعلاً لسلام
ثم سودي ولم يسد من توانى
وانزعيها من الزمان اقتداراً
واغمريهـــا رعاية واحتضانا
رب مجـــد على يديك تسامى
من بعيد سبقت فيـــه الزمانا

اللاذقية ـ الآنسة سعاد بكباشي

الغرفة الصينية

تأليف فيفيان كونل
ترجمة أنيس صايغ

بقلم : اسماعيل حمود

« ان الناس قادرون على الحكم ازاء ماتقوم بـه حتى لو كنت في غرفتك الصينية ، وتأكد من انك لاتستطيع ان تخفي فيها شيئاً مما يبعث على الخجل حتى لولم يرك الاسقف الغرفة » .

اذن فلكل منا « غرفته الصينية » .. ولهذا فرش السيد « ألدر » - وهو موظف في بنك بود في انجلترا - غرفة في الطابق الثاني من مبنى البنك فرشاً صينياً محضاً، بحيث كان السيد « نقولا بود » يستروح في هذه الغرفة عبير آسيا، ويريح دماغه، ولولأمد من عناء العمل الآلي المتواصل هناك ، في الغرفة الصينية كان يوغل في اجوائه الخاصة ، حتى يستعيد شخصيته الحقيقة من جديد ويجد في ذلك بعض العزاء .

* * *

ونقولا بود هذا - وارث البنك عن أبيه - قد زج به في سجن العمل المصرفي المضني ارضاء لطموح والده القروي النشأة الذي كان يحلم دوماً بأن كل ضربة معول ستستخرج الذهب ، أما ابنه نقولا ذو الطبيعة القروية فقد سجن في احدى غرف البنك .. ففي كل يوم ، وفي نفس الساعة ، كان يرى نفسه على مكتبه ، بين جدران اربع وأمامه طلبات للتوقيع على طرفها الايسر السفلي ، توقيع فقط ، مجرد رسم اسود على أبيض ولا مفر من ذلك الا في الساعة المعينة من يوم واحد من كل اسبوع . دوما على نفس المكتب في نفس الغرفة ونفس العمل .

وانعكس أثر هذا الطراز من العمل على اوجه حياة نقولا المختلفة . فلم يعد يعيش في ذاته المركزية ، بل أضحى يعيش على هامش الحياة ، وبدا هذا الاثر واضحاً في علاقته مع النساء ، فاتخذ شكلاً واحداً منذ يوم الخطوبة حتى السنة العاشرة من زواجه . ولم يجد نقولا بداً من قبول مسز برامبتون (والدة خطيبته موريبل) أما ثانية له ، ولذا علقت احداهن (المسز كانجول) على اعلان الخطبة بقولها : « انه نعي زواج سعيد جديد » . اما مسز برامبتون فقد خيل اليها ان الزواج « زواج ببنك انجلترا لوزارة الحربية » كما اصرت على الانتقال بالاحتفال من كنيسة القرية المتواضعة الى الكاتدرائية ومن القس الى المطران . اما ابنتها موريبل - الخطيبة - الشديدة التقليد لامها فقد اعتقدت « ان سرير زوجها اصبح قبراً اجتماعياً من قبل ان يتزوجا » وحين خروجها من حفلة التكليل رأى نقولا « ان العطور التي ترش كانت باردة كجليد سيبريا » وكان صدى كلمات والده المرحوم يتردد في اذنيه : المال رفيق الانسان . ازرع مالاً تحصده ... ولما بلغت موريبل سن الثلاثين وحياتها تجري على هذه الشاكلة ادركت « ان كل شيء في انكلترا اصبح قصراً يتجمد فيه الانسان ويضيع » .

وهكذا فقدت معنى الحب والحياة الزوجية ، ولكنها عرفت ذلك بطريقة اخرى ؛ بعلاقتها مع الدكتور ماك غريغوري ، فتذوقت معه الحياة وعرفت معناها . واستطاع الدكتور بما يتمتع به من حيوية وانطلاقة حرة ، في رحاب الحياة ، حيث تقاليد المجتمع الانكليزي لم تعد تشكل سداً أمام عفويته ، استطاع ان يحمل موريبل على جناحيه ويخرجها من هذا العالم القاسي ، ولكن ... ولكن ليس نهائياً .

* * *

ان لكل منا غرفته الصينية الخاصة ، التي يجب ان يعود اليها ، رغم ماتقيمه الحياة اليومية بمشاغلها وتعقيداتها من سدود وتمنع عفويتنا من التحقيق المباشر وتحول دون انفتاحنا الحر على العالم الخارجي .

ولم تعد لنقولا حياة جسمية ونفسية سليمتين ... ان الذي يجلس طيلة حياته في غرفة البنك ويمر وينزلق الى درجات غرفته بحركة وحيدة متكررة ، سيبدو أثر ذلك واضحاً عليه . ولقد تعود نقولا ان يداعب أصابع يديه تحت الطاولة بحركات آلية وكانت المداعبة تزداد كلما انغلقت عليه الامور وحار في التفكير اذ لايتاح للسانه ان يتحرك بكلمة معبرة حتى توقظه نظرة محدجة من محدثه ، فيتوقف فوراً عن مداعبة الاصابع . وكان هذا الميل الى الحركة يتسلل مع يديه الى حبيبه ويحرك اصابعه فيها . لقد فقد في البنك الحس والحركة « فليس محل هاتين اليدين ذات

الشعر الكثيف والعقد المفتولة هنا في البنك بل محلها هناك في الحقول وفي شق الترع » ؛ ان حركات يديه دعاء جسدي لذلك النوع من الحياة ، لحياته الخاصة. ان هذه الحركة دلالة ايمائية على حقيقة ذاته (على غرفته الصيدية) .

« ... صار الناس يعرفون نقولا بود من حركات يديه ؛ انهما اليدان اللتان شقتا باطن الارض بحثاً عن الذهب المدفون انهما يدا فلاح تسعيان لان تقبضا على شيء ما ـ على فأس او محراث او معول ـ لقد شغلتهما ايام الدراسة في اكسفورد وهارويك المجاذيف ، فمنذ ان تخرج من المدرسة وهما فارغتان خاليتان ؛ انهما تتألمان كمعدة خاوية وتشعران بجوع دائم الى قبضة المعول او حديد المحراث او قساوة الصخر أو رش الحبوب او مسك الطين ، انهما تشعران برغبة في القبض على أشياء محسوسة تعملان بها ، تريد هاتان اليدان أن تبنيا وان تغرسا بذوراً ، تريدان ان تفعلا ذلك بنفسهما ، لم يرضهما ان يعرفا ان الخادم فورسايت يزرع الازهار ، او ان الحارس كانتلباي يقلم الاشجار لذلك لم تتركا نقولا وحده ولذلك لم يستطع ان ينسى امرهما ... انه فلاح في مجتمع ارستقراطي انه حصان مثبت اللجام مربوط في مرعى خصيب كل ما حوله يوحي بالاكل ولا يستطيع ان يأكل . »

هكذا أضحى نقولا بعدان اصابه مرض العصر : يعيش خارج ذاته ، تغلفه العادات والتقاليد فبدل أن يعيش في صميم الحياة ، في حقيقته الذاتية ، اضحى يعيش على الهامش ، ضمن المواضعات والاعتبارات المفروضة من الخارج .

ولكن .. الا يمكن ان يعود المرء الى ينبوع الحياة الحار الدفاق ، الى حقيقته الانسانية الحية ليعيشها بكل جوارحه ؟

واذا كان المستر بود قد اقتطع بالفعل ابنه نقولا من الحياة الريفية وسجنه في بنكه ، اي اخرجه من ذاتيته ورمى به على هذا الشاطيء الرملي القاحل افلا يمكن لنقولا ان يعود ؟!

الجواب نعم .. ولكن ليس تماماً .

كان نقولا منطلقاً بسيارته عبر حقوله حول المدينة في مطالع الريف الانكليزي الجميل ولما ابصر فلاح مزرعته نزل من السيارة واخذ يعاونه على عمله .

قال له الفلاح : ـ سوف تلطخ ثيابك ياسيدي .

أجابه نقولا : ـ لابأس عن ذلك .. دعني اتخذ مكانك .

وخلع سترته ووقف في الحفرة وبدأ يحفر ؛ **ولاول مرة في حياته شعرت يداه بانهما تضمان شيئاً عزيزا .**

وهكذا انحلت العقدة وانطلق السر من الرتاج فيها هو شعور السعادة بالحياة يغمره . « ادرك أنه اصبح وحيداً لانه يحرر نفسه ، وحيد مع العمل والمطر والرياح والتعب » .

« ولما فتح باب القناة وانسابت مياه المطر فيها شعر بالدم ينساب في جسمه وكانه يخرج من عينيه » وحين عاد بالسيارة « صار ينظر الى خادمه كرجل لا كخادم » .

اما زوجته التي تجمدت في توابيت التقاليد فما ان رآها تبدل ثيابها حتى « لعنها في نفسه ، فلماذا صممت على تبديل ثيابها للاستقبال ورجعت لتقاليد الطبقة المتوسطة القديمة » « ومع ان غرفة الطعام لم يكن فيها شيء جديد الا ان نقولا شعر بأنها غرفة جديدة ورأى كل شيء فيها يتوهج ويشع منه الضوء حتى ثيابه الرسمية التي كان يمقت ارتداءها ، فقد شعر بالراحة فيها . الا ان غريزته ظلت تفتقد شيئاً ؛ تفتقد شخصاً .. لاشيء يعيدنا الى دواتنا ولاشيء يجعلنا نحيا حياتنا العفوية المباشرة ، حياتنا الحقيقية الا معرفتها على حقيقتها ومعرفة الطريق . اما المواقف المرتجلة او المصطنعة سواء كانت سلبية ، او ايجابية سواء كانت تتجلى بالهروب من الحياة او تحديها ، فهي مواقف ليست جديرة بالاحترام والاعتبار ليس لنا الا ان نقول مع سقراط : اعرف نفسك اي ان تتعرف على حقيقة شخصيتك وما تحتويه من ميول واستعدادات وامكانيات ان تعرف كل ذلك وتعمل بما يتلاءم وحقيقتك الوحيدة ، هكذا يتحرر الانسان من كل ماهو خارج عن نطاقه من كل ماهو مزيف او مصطنع . ويعود بالتالي الى حياته الخاصة ويحيا من جديد .

« ذلك مانويت فعله ، فكل معول كنت اضربه في حفرة الخندق من هذا الصباح كنت اهدم فيه حجرا من البنك . كان عملي حفر طريق لي الى خارج السجن » .

تعا نرقص

ظهر كتاب « تعالي نرقص » للاديب الشاب محمد التونجي ، وهو مجموعة قصص اجتماعية وعاطفية ، والذي قرأ للاديب محمد مجموعة قصصه الأولى « عذارى ومومسات » وكتابه المعرب « جامعاتي » للاديب العالمي غوركي ، يجد في هذه القصص الجديدة ، خطوة جدية نحو التكامل في كتابة القصة ، خاصة والكاتب ينحو في سرد قصته منحى جديداً ، مستوحى من التمرد على القيود والسدود التي وضعها كتاب القصة السابقون لكتابة القصة القصيرة ، هذا الى اسلوبه الجميل في تسلسل الحوادث والافكار واللغة العذبة التي يصوغ بها هذه الحوادث وهذه الافكار .. ا . ل .

من هي بور سعيد

للشاعر العراقي : كاظم جواد

من هي بور سعيد ؟
حمامة تبكي ، وغربان من الحديد
محمومة الوعيد ،
كركرة مخنوقة على فم الوليد

●

من هي بور سعيد ؟
مساكن مضفورة سجواء مشرقه
مشاتل للورد مورقه .

●

من هي بور سعيد ؟
منازل تهوي واشلاء مبعثره
شوارع موحشة ، غبر ، مسوره

●

من هي بور سعيد ؟
زنبقة في الرمل ، اصوات مجنحه
تعبر فوق البحر ، خضراء مفتحه

●

من هي بور سعيد ؟
سنبلة ظمأى ، تويجات من الرماد
خمائل تجفل من اجنحة الجراد

●

من هي بور سعيد ؟

(١) من ديوان « من اغاني الحرية » الذي سيصدر قريباً

سواحل فضية في الليل ، والقمر
يلهو مع البحارة الرفاق ان عبر

●

من هي بور سعيد ؟
عجائز تفر ، اطفال بلا خدود
شواطىء تزخر بالحديد والجنود

●

من هي بور سعيد ؟
كتائب الشعب الفتي قاهر الغزاه
من شارع لشارع يخط في دماه
معركة الحياه

●

من هي بور سعيد ؟
قرن من النيران في الافق
فتائل للفجر تحترق .
وهذه الاجراس خلف الموت والجليد
خلف المدى البعيد
لمن ، لمن تدق في السحر
ألربيع الغائب المخبوء في الشجر
وفي شذا الزهر ؟
أجل ، اجل من دم بور سعيد
سيولد العالم من جديد ..

العراق – كاظم جواد

خمر ...

شعر : نذير الحسامي

«الى خمرتي التي غابت ولم يغب منها العبير»

ياخمر أحلامي ، اصدحي وفوري
وشعشعي ، بالذكريات ، نوري
وهيجي الساكن من غروري
والراقد الغفلان ، من سروري
في دني المزبـد ، بالعطور

* * *

عودي الي ، بالجنون ، عودي
وجددي ، مع الهوى ، عهودي
وأضرميني ، تنصهر قيـودي
وبسطع الربيع ، في ورودي
ضيعت لحني ، فاضربي بعودي

* * *

ياخمر ، هاتي نشوتي ، وجيئي
وأفصحي ، عن شوقي الخبيء
وعن هيامي ، بالأسى الوضيء
لاتبخـلي ، بالبسم الهنيء
أنت الـتي ، الي ، لم تسيئي

* * *

لاتنفري ، من ليلي الكئيب
ان تكفري بالحزن ، تكفري بي
يانفحة ، مـن عبقي وطيبي
ولمحة ، مـن عالمي العجيب
لم يبق لي ، الاك ، من حبيب
فنوري كأسي ، ولا تغيبي

* * *

لفي ظلامي ، والبسي صباحي
واسقي ، ليالي السهد ، من جراحي
لاتشفقي ، أن تطعني جناحي !
وأن تشوبي ، بالدموع ، راحي
وان تزيدي ، في الهوى ، نواحي

* * *

ألست ، ياخمر ، كفاء حلمي ؟
ألست ، مني ، في دمي ولحمي ؟!
رنحت امسي ، فاعصفي بيومي
وأشعلي على اللهيب سقمي
لاتحفلي ، همـي ، فديت همي

* * *

١٩٥٥/٥/٣ نذير الحسامي

معهد الفولكلور في رومانيا

كانت توجد في الماضي نظرية تقول ان الابداعات الشعبية النقية الأصيلة لاتزدهر الا في اكثر الطوائف الشعبية اغراقاً في البدائية والسذاجة . ولم تعد هذه النظرية الغريبة اليوم تلقى من يؤيدها . ان الفولكلور يزدهر حيثما وجد الشعب في كل مكان وحيثما كان للشعب مايقول : حيثما كان له ما يغنيه ، او مايعبر عنه بالشعر ولم يكن يحظى بالتجميع في الماضي الا الانتاج الشعبي في اكثر القرى تخلفا ، اما الآن فقد بدأت دراسة الفولكلور في كل مناطق البلاد في المدن ، وفي المصانع وفي الورش ، دراسة ، عميقة . وقد تتيح لنا هذه الدراسة ان نؤكد أنه بالرغم من اختلاف صور الفولكلور اختلافاً كبيرا في مختلف الأقاليم ، فان الفولكلور الروماني يتسم بوحدة عميقة .

ان الانتاج الشعبي انتاج جماعي . وهو يستلهم ينابيع التقاليد العريقة ، وينمو ويزدهر بما تضيف اليه الجماعة ، وماتعدل فيه باستمرار . ونحن نجد الاعمال التقليدية القديمة في الفولكلور جنباً الى جنب مع الابداعات الحديثة ، التي تمر كلها بتغيرات مستمرة . وكل حدث هام في حياة البلاد يترجمه الفنان المبدع الشعبي في قصيدة اوفي اغنية .

فالبؤس والقهر الذي كان يفرضه الاقطاعيون القدامى على الفلاح دفع به ، وهو الشاعر الاصيل ، ان يغني أنشودته في نهاية القرن الماضي :

يالبؤس .. ياللأسى .. أي خطيئة تلك التي أكفر عنها
حتى يموت اطفالي جوعاً . أي ألم ..
ويذهبون حفاة الاقدام .. ان ذلك لينتزع القلب من الجذور .

ولكن الأم في الريف تغني اليوم أغنيـة أخرى ، تهدهد بها اطفالها :

نم ياصغيري .. ياصغيري ..

اقلب الصفحة

حملتك على ذراعي الأيام الطوال
ارضعتك من لباني .. رويت ظمأك من حبي .
حتى اشتد عودك .. كبرت وأنت تبجل
الجمهورية الشعبية ..

ان انتشار الثقافة على نطاق واسع بين جماهير الشعب افضى الى تغيرات جوهرية في وعي الجماهير . ويظهر ذلك اليوم في الابداعات الشعبية الجديدة . لقد أصبح للفنان الشعبي وعي الرجل الحر وامتلأ ادراكه انه اصبح اليوم سيد مصيره وسيد بلاده ، وهو يترجم ذلك في أناشيد تجري على النمط التالي :

كان الاقطاعي يثرى .. من كدحنا في الماضي ..
ولكن العمل الآن يلقى التقدير الحق من الجميع ..
ان شغل العاملين يخلق السعادة من جديد ..
في الربوع الموحشة الجدباء . فنرى فيها انبثاق الزهور .

وذيوع بعض الموضوعات الشعبية التي نجدها، غالبا، في طول البلاد وعرضها مع بعض الاختلاف القليل ، انما يعزى الى تنافس فرق الهواة في المدن والقرى ، مما يتيح للابداع الشعبي ان يظهر في اكثر صوره أصالة وروعة .

ولهذا كانت لدراسة الفولكلور في رومانيا تقاليد باهرة .. وأعظم شعراء رومانيا كانوا ولازالوا ينشدون كنوز الابداع الفني ويستلهمون روائعها لدى الشعب فالشاعر الروماني العظيم ايمينسكو يتكلم يتحدث عن الفولكلور الروماني فيقول : انه ينبوع من ينابيع الصبا الخالد أما الشعراء والكتاب الآخرون فقد قاموا بتجميع مجموعات رائعة منه منذ زمن طويل . ومن ثم فان اختصاصيي الفولكلور الروماني يعتمدون اليوم على أساس ثمين في أعمالهم ويضيفون اليه باستمرار ، ويزيدونه ثراء .

ومنذ ان أنشىء معهد الفولكلو في ١٩٤٩ أخذ على عاتقه مهمة تجميع كل الاغاني الشعبية في رومانيا ، وتسجيلها . ثم استكملت هذه المجاميع باضافة مجموعات أغاني الموسيقين الفولكلوريين البارزين .

وينقسم اعضاء المعهد مجموعات تطوف بالبلاد ، لدراسة مواد الفولكلور وتجميعها .

ولكن اختصاصي معهد الفولكلور لايقرمون فقط بدراسة انتاج الابداع الشعبي الريفي الذي تترجم عنه الاغنية او القصيدة ففي سجلات المعهد اليوم مجموعات غنية من قصائد الشكاة وأغنيات الحب ، وأهازيج الفرح ، وأناشيد الفلاحين المكافحين ضد الطغاة القدامى ، ولكن هناك الى جانب ذلك مجموعة من الاختصاصيين يقومون ، منذ بضع سنوات ، بدراسة الرقصات الشعبية في أقاليم البلاد المختلفة . وقد نجحوا في وصف رقصات ترجع الى نهاية القرن الثامن عشر . هذا الى قيام مجموعة أخرى بتجميع الاقاصيص ، والاساطير والعادات . وقد سجلت أخيرا مجموعة من الاقاصيص على أشرطة التسجيل ، فأتاح ذلك حفظ أسلوب القصاص ، والفاظه ، ولهجته .

ودراسة الفولكلور العمالي ، ونتاج الفنانين الشعبيين في الورش والمصانع يحتل مكانا هاما في نشاط اختصاص الفولكلور الروماني وتلك مسألة جديدة كل الجدة . فما لايخلو من أهمية أن الطبقة العاملة لم تفقد أبداً الثقة في المستقبل . في نهاية القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ، وطوال كفاحها في سبيل الخبز ، والاستقلال القومي كفاحا مريراً غاية المرارة ففي هذه الفترة تأكد ايثارها للأغنية المنغومة الموسيقية بمعناها الدقيق ، ونبذ العمال الانماط القديمة للفولكلور من قبيل قصائد الشكاة ، وهي تقابل المواويل العربية بصفة عامة ، كما نبذوا القصائد الشعبية المطولة التي تقابل السير المطولة في مصر .

ويهتم معهد الفولكلور الان بدراسة فولكلور الاقليات القومية في رومانيا ، اهتماما بالغا .

وقد كان كل هذا العمل معرضاً لخطر الضياع لو اتبعت الاساليب القديمة في حفظ سجلات المعهد . ولكن أساليب الصيانة الحديثة تتيح للمعهد اليوم أن يحتفظ بمجموعة من أكمل وأغنى مجموعات الاغاني في العالم ، تضم ٧٠ الف أغنية ، وأكثر من ٧ آلاف اقصوصة ، ومجموعات من الهتافات والصيحات والرقصات الشعبية ، وهي تحت تصرف كل هواة الفولكلور .

ان معهد الفولكلور في الجمهورية الشعبية الرومانية لايزوره الفنانون الرومانيون فحسب ، بل يزوره الضيوف الكثيرون من البلاد الاجنبية ، وقد زاره أخيرا وفد الادباء المصريين الذي يضم الأستاذ محمد سعيد العريان ، والدكتور شوقي ضيف والدكتور محمد مندور ، والاستاذ علي أحمد باكثير ، والاستاذ عبد الرحمن الشرقاوي ، كما زاره الدكتور عبد العزيز الاهواني استاذ الادب الشعبي في جامعة القاهرة وعضو لجنة الأدب الشعبي بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب .

ولم يملك كل من يسمع الاقاصيص والاغاني الرومانية الجميلة في المعهد ، الا ان يعبر عن اعجابه وثنائه على هذا الشعب المحب للعمل والسلام ، والتفاهم بين الشعوب ـ هذا الشعب الذي صدرت عنه تلك الاعمال الفنية الجميلة .

تعريب الثقافة

المجتمع الدولي

بقلم : عدنان الزين

ان فكرة تعديل النظام التقليدي للمجتمع الدولي قد لاقت في هذه الايام رواجا لم تلقه في اي عهد من العهود السابقة ولم تعد فكرة السيادة الاوتوماتيكية للدولة تلاقي هذه الموافقة المطلقة التي كانت تعتبر في العصور السابقة عنصراً من اهم العناصر التي تشكل الاستقلال المعنوي للدولة .

ان التجربة القاسية التي مر بها العالم اثناء الحرب العالمية الثانية قد خلقت في نفوس المجتمع الانساني شعوراً كله نفور وكره تجاه فكرة الحرب من جهة ، وتجاه النظام الدولي الذي يجعل من الحرب حالة مشروعة في مفهوم هذه الانظمة من جهة اخرى . هذا ولما كان من شأن الاسلحة الذرية ان تزيد الرعب في النفوس وان تجعل المجتمع العالمي يخشى دمار العالم باسره .. فمن الطبيعي اذاً ان نرى بعض المفكرين في الحقل الدولي يتجهون في ابحاثهم الى ايجاد نظام جديد يختلف في مفهومه عن النظام السابق ويجعل من الحرب امراً من العسير وقوعه .

ولقد تضاربت الآراء في هذا الصدد فمن المقترحين من قال بفكرة الحكومة العالمية ومن الآخرين من عارض في هذه الفكرة وقال بانها اتت الى الوجود قبل اوانها وانه من الافضل ايجاد حل آخر على ان تكون خطواته اكيدة ولو كانت بطيئة . وعن ذلك نشأت فكرة المنظمات الدولية التي اظهرت الى حيز الوجود هيئة دولية جديدة لقبوها بنظمة هيئة الامم .

هذا وبالرغم من اختلاف الآراء اثناء المناقشة المنوه عنها اعلاه فلقد لوحظ ان هنالك نقطة معينة قد اتفقت آراء الجميع عليها الا وهي وجوب ايجاد قانون دولي صالح .. ولقد ظهر هذا الشعور خاصة في البلاد التي اخذت بالنظرية القائلة «بحكومة القانون لا بحكومة الرجال » .

ولقد توحـــدت اصوات رجـال القانون ورجال الشارع في في تأكيد فساد المبادىء الدولية القائمة ووجوب تعديلها . حتى ان البعض قد ذهب الى ابعد من ذلك وانكر وجود اي نظام قانوني في الحقل الدولي ، ولاشك ان هذه الفكرة الاخيرة قابلة للأخذ والرد وانه وان لم يكن هنالك قانون دولي منظم بمواده وفقراته الا ان العرف والعادة قد اوجدتا بعض المبادىء اعترف عليها في المجتمع الدولي « بانها قواعد تنظم علاقات الدول فيما بينها »

غير اننا لانريد في هذا البحث ان ندخل في مناقشة لاعلاقة لنا فيها في الوقت الحاضر وانما نود ان نؤكد انه من المسلم به الآن ان الحاجة ماسة ولربما الظروف سانحة لايجاد حل يمكن بواسطته جعل القانون الدولي متطوراً وبالتالي ايجاد قانون حديث للأمم . والجدير بالذكر اننا اذا رجعنا الى مصادر الانظمة القانونية نلاحظ انها لم تأت الى الوجود خالية من كل شائبة وانما هي تنبثق عادة عن المجتمع التي اوجدها لتنظيم علاقات افراده وهي لاتستكمل شكلها النهائي الاخلال تطورها الزمني لذلك فان القول بوجوب ايجاد قواعد تنظم استعمال القنابل الذرية او غيرها من الاسلحة المدمرة لايكفي لتأمين مستقبل المجتمع الدولي كما ان مجرد اصدار قانون يعتبر وقوع الحرب امراً مخالفاً له لايكفي لالغاء فكرة الحرب من اساسها . ففرضيات كهذه اذا حققت ولو انها دعمت من قبل هيئة او منظمة خصصت لهذه الغاية الا انها ستخفق ولاشك في انشاء مجتمع دولي صالح يكون ركناً اساسياً لتأمين كيان نظام حقوقي ما ، .. وذلك لان العلاقات البشرية لاتخلو من الخلافات . والمنازعات الدولية امر محتمل وقوعه في كل آن ، فاذا لم يمكن هنالك مجموعة من القواعد الجازمة التي من شأنها ان تجد حلا اساسياً لهذه الخلافات ، فلن تكون الفرضيات التي مر ذكرهـا عقبه في سبيل نشوب حرب واستعمال اسلحة مدمرة اذا بلغ التوتر حداً معيناً وقدر احد اطراف النزاع ان الكيل قد طفح وانه لابد من استعمال القوة .

ان القصد من بحثنا هذا ان نتقدم ببعض الاقتراحات التي يمكن ان تشكل اساساً لقانون حديث للامم . فهذا الاقتراح يرتكز مبدئيا على القول بان العلوم الاجتماعية يجب ان تكون في تقدمها على قدم المساواة مع العلوم الفيزيائية

فاذا قبلنا بمبدأ تعديل النظام القائم للحقوق الدولية لابد لنا من السعي لالحاق العلوم الاجتماعية المتخلفة بالعلوم الفيزيائية التي سبقتها اشواطاً واسعة .

ثمة طرق عديدة من أجل تحقيق هذا الهدف لكن الاسلوب الذي نود اقتراحه في هذا البحث لربما كان من الاسهل تحقيقه ومن الافضل اتباعه .

ان اقتراحنا يعتمد على نقطتين اساسيتين كركيزة رئيسية

لاقامة قانون حديث للأمم . واولى هاتين النقطتين هي ان القانون الدولي يجب ان لا يقتصر في تطبيقه على الدول بل يجب ان يشمل الافراد ويطبق عليهم كبقية القوانين المحلية . والنقطة الثانية هي ان المجتمع الدولي يجب ان يشعر باهمية القانون وان يتمشى مع احكامه وان الشعور السائد بان مخالفة القانون الدولي امر يتعلق بالدولة المخالفة وحدها ، واقع يجب ان تطوى صفحته وان يمحى من الاذهان . فكما ان هنالك حقاً عاماً في الدولة يأخذ على عاتقه انزال العقوبة بمخالفي القوانين المحلية فكذلك الامر يجب ان يكون هنالك حق عام دولي مهمته انزال العقوبة بمن يتجاهل احكام القانون او يخالفها عمداً، سواء اكان المخالف من الدول او الافراد ، حتى ينعم المجتمع الدولي بحياة سلم واطمئنان تخلصه من الازمات الدولية والحروب الباردة التي تحدث بين حين وحين .

ان مهمة الحكومة العالمية التي اقترح ايجادها بعض المشتغلين في الحقل الدولي تقوم على اساس تنظيم علاقات الدول والعمل على حل المنازعات الدولية بطرق سلمية وتجنب استعمال القوة وذلك عن طريق اتخاذ قرارات جماعية تقوم مقام القرارات التي يمكن لمختلف الدول ان تتخذها بصورة تعسفية ضاربة بمبادىء العدالة والقانون عرض الحائط . ان القائلين بفكرة الحكومة الدولية كثر ، ولكنهم اذا كانوا قد اتفقوا على المبدأ فلقد تباينت آراؤهم حول الشكل والتطبيق . ان هيئة دولية كهذه لا يمكنها ان تقوم بالاعمال الموكولة اليها الا اذا توفرت العناصر الثلاثة التي يقوم على اساسها اي نظام دولي الا وهي عنصر التشريع الذي يأخذ على عهدته وضع القوانين الدولية المزمع تطبيقها وعنصر القضاء الذي يعنى بتفسير هذه القوانين الدولية وتطبيق احكامها والعنصر التنفيذي « او قوة البوليس » الذي من شأنه ان يسهر على تنفيذ الاحكام القانونية والمقررات القضائية . ان الفكرة متبلورة اصلا في هيكلها العام الا ان التفاصيل والشكل وكيفية الانشاء كان موضع الخلاف والجدل ، هذا بالاضافة الى ان الامم في مختلف نزعاتها لم تكن مستعدة استعداداً تاماً لقبول فكرة الحكومة العالمية في الوقت الحاضر . وهذا امر يمكننا ان نتجاهله الآن باعتبار ان الشكل لا يهمنا بقدر ما تهمنا النتيجة . فاذا فرضنا ان الاتفاق قد حصل للوصول الى هيئة او حكومة عالمية او ما يشابه ذلك من مؤسسات دولية تأخذ على عاتقها تطبيق نظام قانوني معين ، فالمهم في الموضوع هو معرفة هذا النظام القانوني المطلوب تطبيقه او بكلمة اوجز ما هو نوع القانون الذي يمكن ايجاده حتى تتلاءم قواعده مع الفكرة الحديثة التي تنادي بحل المشاكل العالمية بصورة سلمية قانونية .

لا جدال في ان القانون ضرورة انسانية ولا جدال ايضاً في ان العالم لا يمكن ان ينعم بحياة سلمية الا اذا كان القانون هو المنظم الوحيد لعلاقاته وان المجتمع قد يستطيع اذا سما في ثقافته الاخلاقية ان يخفف من حدة التوتر ولكنه لا يستطيع ان يستغني عن القانون بصورة مطلقة .

وخلافاً لما جاء في مقال مور جنتو عن الدبلوماسية لا يوجد في الواقع فرق بين الدبلوماسية والقانون فيما يتعلق في التطبيق ، فكما يمكن لرجل القانون ان يخالف القانون اذا اعتبره مطاطاً فكذلك الامر يمكن للسياسي الديبلوماسي ان يخرج عن نطاق علمه اذا اتبع سياسة ماكيفيللية .

يقول الفقهاء ان القانون اذا اعتبر مطاطاً احياناً يعود ذلك اولا الى التعريف وبالتالي الى التفسير . وعليه يمكن لزيد من الناس ان يعني بكلمة قانون مثلاً القانون الاخلاقي او القانون الروحي او القانون الذي اصدرته سلطة تشريعية في حين ان عمرو قد لا يعني في الكلمة نفسها سوى المعنى الاخير فالتعريف اذاً لا يمكن حصره . ولقد علق مثل صيني على هذه الناحية بقوله « انه لمن المستحسن دوماً » ان يكون وراء تعريف معين عدة تعاريف اخرى تشمل الموضوع نفسه حتى لا لا تكون هنالك نزعة لقبول التعريف الاوضح . ولقد قال القاضي كاردوزو احد أعضاء « المحكمة العليا الاميركية » بان القانون والتقيد بالقانون وقائع تزداد تأكيداً خلال حياتنا العملية » .. واذا كان التعريف من شأنه ان يجعل من هذه الوقائع اموراً وهمية فمن الافضل تجاهل التعريف ذو النطاق الضيق وتوسيعه بشكل يجعله يتجاوب مع الحقائق » .

ان القانون الدولي او قانون الامم تعبير قد اصطلح عليه منذ اكثر من ثلاثماية عاما والغاية منه « تدوين بعض الملاحظات المتعلقة بسلوك البشر حين يعيشون بشكل جماعي ويؤلفون ما نسميه الدولة » ان النقاش الذي دار حول استعمال كلمة او تعبير « القانون الدولي » قديم يعود الى بداية استعمال التعبير نفسه ونستطيع ان نرد ذلك الى تعريف كلمة قانون وما يمكن ان تشمله من معنى . فاذا قدر زيد من الناس ان ليس هنالك قانون بدون سلطة ذات صلاحية تسهر على تنفيذه فيكون زيد محقاً فيما اذا رفض اعطاءه اي القانون صفة الدولية هذا . ولو طرح السؤال بصورة عامة عما اذا احرز القانون الدولي اية نتيجة ايجابية بصفته

القانونية لاقترنت معظم الاجوبة بالنفي وذلك لان الناس لا يتابعون التطورات الدولية بتفاصيلها الدقيقة وانما يلقون على الحوادث نظرة عابرة لانهم مطلعون على التجارب المؤسفة التي مرت بها المجتمعات الدولية خلال القرون الماضية حيث كان القانون الدولي تعبيراً ينوه عنه احياناً دون ان يكون له اي تأثير على العلاقات الدولية .

غير ان هذا المفهوم قد تبدل . ولقد تبوأ القانون في عصرنا هذا مركزاً لابأس به في الحقل الدولي ، واننا اذا اردنا ان نقوم بدراسة دقيقة حول ماحققته الحقوق الدولية من تركيز قواعد ثابتة في الحياة العملية ، فلا بد ان نجد ان هنالك نواحي عديدة تثبتهاالاعراف الدولية وجعلت منها قواعد عامة لها صفة القانون ومزية الاحترام الدولي ، فاذا ماطلعنا على الاتفاقيات التي تربط الدول بعضها الى بعض نلاحظ وقائع دولية هامة تثبت في النفوس شعور الاطمئنان والامل بالوصول الى نظام دولي احسن . فالوقائع التي تدل على تطور القانون الدولي عديدة نذكر منها على سبيل المثال : الاتفاقيات العالمية المتعلقة بتحديد اجور المراسلات البريدية التي ثبتت اقدامها في الحقل الدولي واصبحت قواعدها قانونا عاماً تقيدت باحكامه مختلف الدول. ومن ناحية اخرى فمن العسير ان نجد في العصر الحديث ممثلا ديبلوماسياً يساق الى المحاكم الوطنية بتهمة ما ، وذلك تمشياً مع القواعد الدولية القائلة بالحصانة الدبلوماسية . هذا وهنالك مئات من القرارات صادرة عن محكمة العدل الدولية قبلت الدول المتقاضية التقيد باحكامها . واذااضفنا الى كل ذلك ماجاءعلى لسان مانلي هودسون احد قضاةمحكمةالعدل الدولية بان « المقررات الدولية المنبثقة عن المؤتمرات العالمية اصبحت تندمج اندماجاً سريعاً في القوانين الوطنية » فنحن مضطرون الى القول بان الحقوق الدولية هي في طريق تطور مستمر ولكنه تطور بطيء ولقد علق على هذا التطور « هول » احد كبار رجال الحقوق الدولية في مقدمة كتابه « القانون الدولي » بقوله . «برجوعنا قرنين الى الوراء وبمتابعتنا تطور القانون الدولي بامعان نراه يزداد قيمة وقوة في نهاية كل خمسين سنة ولقداستطاع خلال هذا التطور ان يقوي مركزه وان يوسع نطاق عمله ، ولم يعد يزعج نفسه بالمسائل التافهة وانما اصبح باستطاعته ان يتدخل في كل واقعة اساسية تمت الى العلاقات الدولية بصلة » .

غير ان كل ذلك لايمنع القول بان تطور الحقوق الدولية لوحده لايكفي اذا لم يكن هنالك نظام حقوقي يكون اساساً لقانون دولي حديث . والقانون الحديث يجب ان يرتكز في احكامه على مبدأين اساسين هما تطبيق احكام القانون الدولي على الافراد وقبول مبدأ المساواة بين الدول .

واننا نأمل في مجال آخر ان نبحث مطولاً هذين المبدأين وان نقارن مابين احكام القانون الدولي الحالي واحكام القانون الدي يسعى من اجله المجتمع الدوي .

عدنان الزين
ماجيستر في القانون

تحية الى العراق

بقية ماانشر على الصفحة (٢)

لأن الفأس المقبوض لقاء رأس الخائن . و اثمن من عشرة الاف ومئة الف ، ولأن العراق ربح بسقوط رأس الخيانة ، كنوزا من الذهب لاتحصى بالاعداد والارقام .

هرب العجوز الموهون ، وعصا الشعب تقرع وراءه ، كما تقرع العصا وراء الكلاب الشاردة. وكان متنكرا بزي امراة . فقيل جبان . وحاشا المراة العربية في العراق ان يقال لمن لبس زيها انه كالمراة جبان . فالمراة في العراق ، بنت رجال واخت رجال ، ولم تكن يوم تموز العظيم في زي المخدرات ، بل كان ارجوان الثورة على كتفيها وشاحا . وكانت اجمل ما تكون النساء عندما خلعت القيد، لتجعل منه خلخالا ، تطرب لرناته الارض الحرة كلما خطت فوقها خطوات زهو وخيلاء .

هذه هي المرأة العربية في ارض العراق . أما المرأة الغجرية نوري السعيد ، فلم تكن من النساء سوى جارية من جواري الزمان ، شوهدت في سوق دولية من اسواق النخاسة فابتاعها القراصنة في نزولهم من مراكب الغزو ، وراحو يتداولونها حاكما عن حاكم ، ومندوبا عن مندوب ، وفاسقا اثر فاسق ، حتى ارتفعت بمعاقرة الفحشاء الى اسمى مراتب القداسة الاستعمارية .

هلك نوري السعيد ، وانبقر بطن التنين تحت نعال الشعب ولو قدر له ان يعيش كما عاش بعض تلامذته الذين هربوا من نقمة الشعب ، ولجأوا الى الجيش طالبين الحماية لكان اعدل حكم يحل به ان يزج بقفص ، كما يزج القرويون بعض الضباع الكاسرة التي يأسرونها ويهبطون بها الى المدينة ، ليعرضوها للفرجة : هذا هو الضبع الزنيم ، الجنرال ، السيرنوري باشا السعيد ، الموسوم في جبينه بلعنة الخيانة ، والحامل بلاشرف وسام ربطة الساق .

واخيراً هاهي الثورة ، وهذا هو وجه العراق الصحيح من خلال الثورة . واخيراً هذا هو الجلاء ، وهذه هي الحرية ←

الناصعة من خلال الجلاء ، واخيرا هذا هو الاستقلال . واخيراً هذا هو العراق الذي حجبه عنـا الغاصبون والمستعمرون ، صنوا طبيعيا للجمهورية العربية المتحدة ، وجزءاً متمما من اهم اجزاء الوطن العربي الأكبر .

هذا هو العراق القوي بالثورة المظفرة ، تهتز لمولده الجديد اعطاف الارض ، وتضطرب ارجاء الامبراطوريات ، وتتهتك للعيان استار الخدعة الغربية في بلاد الشرق ، فاذ بيريطانيـا ليست وحدها وراء حلف بغداد ، بل كانت امريكا ابدا وراء قناع الحلف الرجيم . واذ بالمذعورين المصعوقين يفتشون عن اسم جديد لحلف بغداد ، فلا يجـدون سوى الحرب السافرة والعداء الحاقد ، بديلا ، ولن يجدوا سوى الشيطان حليفـا ، ولن تقترن بعد اليوم اجمل الاسماء ، باقبح المسميات .

بغداد ، اسم لعاصمة الرشيد ، بغداد اسم لعهـد العرب الزاهر ، بغداد اسم لمجد العرب التليد ، بغـداد اسم لاخلد عصور العرب في العلم والعرفان ، والنور والتسامح والمدنيـة الوارفة الظلال . بغداد اسم لثورات العرب الحديثة في العراق ضد احتلال المستعمر وغطرسة الفاتح . ولن تستطيع الاصابع الملوثة بعد اليوم ان تكتب فوق بغداد اسما مضافا تضاف اليه لأن الاسم الكبير الذي ينحدر منه ينبوع تاريخ جديد للقومية العربية المنتصرة هو ثورة بغداد . واما (حلف بغداد) فقـد مضى الى جهنم وبئس المصير . فليبحث المزورون عن اسم غير اسم بغداد ، يلصقون عليه رقعة اعلانية عن خططهم الاستعمارية .

هذا هو العراق الجديد ، وهذه هي احـدى معجزات العرب فيما اطلق عليه الرئيس جمال عبد الناصر اطلاقا معبرا : (بالزحف المقدس) .

ففي عام ١٩٤٦ كان الجلاء عن دمشق معجزة الزمـان ، لأنه جلاء جذري ، رفع الاحتلال ونفوذ الاجنبي عن كاهـل الجزء السوري رفعا كاملا ناجزاً هو الأول من نوعه في تاريخ كفاح العرب وتمت ثورة القاهرة عام ١٩٥٢ فكانت معجزة قومية رائعة اذ هلت عيون الزمان وقلبت مفاهيم الحـكم في ارجاء الشرق وتمت بثورة القاهرة معجزة بور سعيد فسكر الاستعمار من هول اللطمة تسددها كف صغيرة . وكان لايزال مأخوذاً على نفسه في دوائر الهزيمة النكراء ، عندمـا انطلقت ثورة بغداد فترنح لهـا الكون ، ومادت اركان الاستعمار وهي تهوى الى السحيق . فلا تعجبي يابغـداد ان تنادت اليك اصوات البرية من ابعد الاقطـار ، واقصى المحيطات مهولة مدوية مباركة او لاعنة ، فأن ثورتك المظفرة المصبوبة كالتماثيل الرائعـة في قالب النجاح . هكذا . بضربـة واحدة ، من ازميل المهندس البناء ، هي بالواقـع معجزة معجزات العرب في تاريخهم العظيم . وسيستمر الزحف المقدس بمواكبه الساحقة ، محملا ضخم المعجزات ، وسترى تلك الجماجم الصغيرة المدوخة في خضم الاندفاق ان المـوجة العربية الصاعدة ستجرف عما قريب كل شيء تافه وحقير وزنيم . وانه لبستطاعة الاسطول الاميركي والجيش ان يحتلا بيروت وعمان ، وان يثيرا حربا تدمر الكون وتقلب احشـاء الارض .. ولكن ليس باستطاعـة العلم والقوة والاختراع ، والجحافل المدججة ، وكل مافي خزائن الذكاء السياسي من كيمياء وسحر ، ان تعطي شيئاً من قيمة الحياة ، للجماجم ، الصغيرة النخرة ، التي تجرفها الموجة العربية الصاعدة جماجم الخونة والاجراء . ان المماليك العربية لن يستقيم امرها للمماليك ، والرئاسات العربية لن تدوم للذين رؤوسهم بين اقدامهم ، تحت واقدام فرق الاطفاء في المعركة اللاهبة ! وعجبا لأمريكا تلبس مسوح القداسة والولاية ، وتزعم لنفسها القدرة على انقاذ ارواح الهالكين ، بل لاعجب ، فهـذا هو عصر المسيح الكذاب ، كما تقول قصص الشعب هو عصر النهاية نهاية عهد الظلم والفسق والفجور في العالم .

ألا بوركت يمينك يابغداد

لقد كانت ثورتك المظفرة ، تفجيراً للطاقة العربية في ارض العراق وتحقيقاً لامل العرب في اهل العراق ، وكانت قبل ذلك وفوق كل شيء ، ضربة انتقـام لثورة العرب عام ١٩١٧ التي اراد مزورو التاريخ ان يكتبوا لنا أنها الثورة العربية الأولى والاخيرة .

لقد كانت ثورة ارادها الشعب حقا ، ولكن الثائرين في تلك الايام ، أكلوا الثورة كما تأكل القطط الجائعة صغارها في دور الرضاع . لقد كانت ثورة حق ثورة ١٩١٧ ولكن الثوار مالبثوا ان انطرحوا تحت مائدة الظافرين ، ليلتقطوا الفتات الهزيلة من المائدة العامرة . لقد كانت ثورة . تلك الثورة . ولكن الثوار رفعوا على نارها قدر مصالحهم واطماعهم ، ليأكلوا من جسد الامة العربية الممزق ، وليشربوا من دماء الثوار الاحرار . في تلك الثورة المهدورة انقلب الملوك الى مماليك . والأمراء الى مأمورين ، والسياسيون الى عبيد مأجورين . وظلوا يتيهون علينا بالثورة الكبرى . ويحدثوننا عن الرصاصة الاولى ، ويخدعوننا بالتاريخ القبيح المزور الذي نشأ في مجموعة اختلاطاته المتفسخة نوري السعيد وامثاله من الوالغين بدم الثورة !! فصحح وقائع التاريخ ياجابر العمر !!

ولقد كان من حق التاريخ على بغداد ، ان تكون يمينها المباركة تلك اليمين التي تنتقم للعرب من ثورة أكلها ثوارها ، ورصاصة صوبوها الى صدر امة العرب .

فهذه هي الثورة الحقة . ثورة الرابع عشر من تموز . الا بوركت يمينك يابغداد !؟ بوركت يمينك يابغداد !

في الخصومة بين القديم والحديث

بقية ما نشر على الصفحة (١١)

الجواب هنا ايضاً بالنفي ، لان هذا التأبي او التمنع دليل على ان صاحبه قد فقد كل ايمان بامكان التقدم او التطور في مضمار الفن . نعم ، ان تقدم الانسانية في مجال العلم اوضح واثبت وأرسخ قدماً منه في مجال الفن . ولكن من العبث انكار كل تقدم او تطور في هذا المجال الاخير . واذا كانت المواهب الفنية فطرية فان الاصول الفنية كسبية تتقدم وتتطور وتصبح من جيل الى جيل اكثر ملاءمة للتعبير عن نوازع العصر . وكل تصلب في التمسك بأهداب القديم ، ولاسيما في الاصول الفنية والوسائل التعبيرية ـ دليل على الجمود ومعاكسة التيار التقدمي الانساني الذي لايعرف في اندفاعه وتقدمه نحو الاصلح تلكؤاً أو تردداً .

ان الانسانية في ثورة تجديدية دائمة ، والخصومة بين القديم والحديث في الفن والادب مظهر من مظاهر هذه الحركة الثورية فالاصرار على الانتصار للأساليب التعبيرية القديمة محاولة خائبة لمقاومة هذه الثورة التي لاتقاوم . واذا كان كل شيء في تطور دائم ، وكان كل انسان يحاول دائماً الانعتاق من قيوده في مختلف مرافق الحياة والانطلاق نحو مايخيل اليه انه ارحب وأجمل واشد تجاوباً مع حياته وعصره ، فلماذا لايحاول الاديب في كل جيل ان ينعتق من المثل التي يفرضها عليه الجيل السابق لينطلق نحو مثل أرضى لذوقه وعواطفه وافكاره ؟ أليس في ذلك الخير كله للانسانية والفن معاً ؟ وحتى متى يجب على الشاعر ان يتخذ لنفسه مثلا من اساليب الشعراء الذين تقدموا عصره بعصور كثيرة ؟ لقد كان تطور شعرنا خلال خمسة عشر قرناً حبياً متواضعاً حتى لنستطيع مع بعض التجوز انه لم ينقطع خلال هذه العصور كلها على تكرار نفسه افلا يحق له بعد كل هذا ان ينطلق في أجواء جديدة ليتدفق في عروقه دم جديد يساعده على الحياة في زحمة العصر ؟ هذا مع ايماننا بعظمة شعرائنا القدامى واصالة عبقريتهم وضخامة ماحباهم به القدر من مواهب فنية ، ولكن هذا الاحترام لايجب في حال من الاحوال ان يبلغ حد العبادة ، والاعاد وبالا على البشرية . فالاحترام يكون بين الانداد ، ومن واجب الانسان ان يحترم القدماء ولكن من واجبه ايضاً ان يحترم العصر الذي يعيش فيه . اما من يتعبد نفسه للقديم فانما يستصغر نفسه قبل ان يستصغر معاصريه .

يقول شارل بيرو ـ وهو احد الشعراء الفرنسيين الذين اسهموا في معركة القديم والحديث في الادب الفرنسي :

« ان العصور القديمة موضع الاحترام ، ولكن هذا الاحترام لايجوز ان ينقلب الى عبادة ، انني اجرؤ على النظر الى القدماء دون ان اجثو امامهم على ركبتي ، فهم عظماء ولكنهم مثلنا من طينة البشر . والطبيعة مازالت هي منذ القديم تصنع العقول والاجسام بالطريقة ذاتها . »

ويقول فونتنيل ـ وهو من الفلاسفة الذين اشتركوا في المعركة ذاتها ـ :

« قضية المفاضلة بين القدماء والمحدثين مردها الى السؤال التالي : هل كانت الاشجار قديماً في حقولنا مثلها اليوم ام اكبر ؟ فاذا كانت الاشجار قديماً تبلغ من الضخامة حداً لاتبلغه اليوم فمعنى ذلك ان هوميروس وافلاطون لايمكن لأحد في عصرنا ان يبلغ مرتبتهما . اما اذا كان للاشجار اليوم حجمها بالأمس ففي وسعنا ان نرتقي الى مرتبة هوميروس وافلاطون .. ان في يد الطبيعة قطعة من العجين لاتني تعالجها بحركات مختلفة فتصنع منها البشر والحيوان والنبات . والطينة التي صنعت الطبيعة منها افلاطون وديموستين وهوميروس ليست بأصفى من تلك التي تصنع منها الفلاسفة والخطباء والشعراء المعاصرين . »

* * *

وبعد ، فان من حق الانسان وواجبه معاً ان يعتقد ان المعاصر يستطيع ، ولو اتبع مناهج ووسائل تعبيرية جديدة ، ان يضاهي القديم ويتفوق عليه فنياً . ان من حق الانسان وواجبه ان يعتقد ذلك لمصلحة الانسانية ذاتها وتجاذباً مع منطق التقدم الانساني المحتم ، كما انه من حق الانسان وواجبه ان يستأصل من اعماق نفسه هذه العقدة التي تصغر من شأن العصر في عين من يعيش فيه وتجعل من المعاصرة حرماناً ظالماً لا يطاق .

امجد الطرابلسي

وادي الهوى

بقية مانشر على الصفحة (١٤)

وطاب بين رياض الانس رجع صدى
بعثت فيه تلاحيني وانشادي

★ ★ ★

ياموطن الذكريات البيض كم نفحت
بك المقاصر أفراحي وأعيادي
باركتها ، والشباب المرتجى أمل
يتيه مابين رواد وقصاد
ويطلق العيش ممراحا ، سوانحه
مثل الأرانين في أنفاس أجواد
لله أيامك الزهر التي انصرمت
وملء أعطافها وجدي واغرادي
تمر فيك الليالي وهي شاحبة
وقد تفرق أقراني وأندادي ....
أجيل طرفي في ظلي فأرشفه
رشف الخيال لماض غير منقاد
وأسمع الطير تشدو في أرائكها
فأنثنى ، وطيوفي في كل أورادي

* * *

أسائل الدوح عن نجوى بلابله
وعن هواجس الافي ؟ وروادي
وعن خوالج أنسام نعمت بها
تحت الظلال ، وعن وجد بها باد
ترى تعود لياليتا لبهجتها
ويزدهي من تساقينا الهوى ناد ؟
ويجمع الشمل خلانا تقاذفهم
أيدى النوى رهن حرمان واخلاد ؟

* * *

وادي الهوى ؟ يارعاك الله من واد
أوريت كامن أشواقي وازنادي
بعثت شجوي فانهلت سحائبه
نجوى تهدهد اغواري وانجادي
ياطيب ذكرى نديات خواطرها
تسيل ذوب حشاشات وأكباد
سكبت فيها اغاريدي وما اشتملت
عليه وقدة أرواح وأجساد
تشوقني ، وضلوعي في توجدها
سهد المحاريب في طاعات زهاد
ياطيبها نسمات في خمائلها
راحي وروحي وتعريسي واسآدي
مواكب الوجه احلام أروضها
على الرضا ، وفنون الوجد اجنادى
فليت لي منك بعد البين بارقة
تضم أهل الهوى في خير ميعاد !!!

سليم الزركلي

عالم الذرة العجيب

بحث علمي بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي

ليس هذا العالم الكبير المرئي بشموسه وافلاكه الواسعة التي حيرت عقول البشر منذ فجر التاريخ الى يومنا هذا هو اعجوبة الاعاجيب وسر الاسرار فحسب ، بل ذلك العالم الصغير عالم الذرة الذي لايقدر العقل البشري ان يتصور مدى نهايته في الصغر هو آية الآيات ومعجز المعجزات ، ففي حبة رمل لاقيمة لها في هذا الكون وفي غبرة تافهة من ملح تعلق على جناح بعوضة حقيرة وما دونها ، من القوى الخفية الجبارة مثل مافي تلك القوى الماسكة للافلاك الشاسعة في عظمتها وجلالها ونظامها المحكم المتين ، فاللانهاية الصغرى لاتقل عن اللانهاية الكبرى روعة وابداعا . نعم ان الفرق لعظيم جدا بين العالمين ، ولكن البحث والتنقيب الجديدين اماطا اللثام عن حقائق جديدة كنا عنها غافلين ، فأثار دهشة العلماء لعالم هو صغير جدا نسبة لأتفه مخلوق عرف في هذا الوجود .

اول مايتجلى لنا غرائب هذا العالم الصغير في عالم البلور الذي نشاهد فيه ان اصغر جزء منه مشكل بشكل هندسي منتظم كما عرف هذه الحقيقة احمد بن يوسف التيفاشي احد علماء الجواهر الذي عاش في القاهرة في القرن السابع الهجري والرابع عشر ميلادي (١)

اذا اخذنا قليلا من ملح الطعام وحللناه في الماء ووضعنا قطرة من هذا الماء الملحي المشبع في حقل المجهر ونظرنا اليها بامعان ودقة وروية تراءت لنا بحيرة ملحية سرعان ماتأخذ في التبخر تحت تأثير حرارة الحجرة ، وعلى شاطيء تلك البحيرة نرى مايزعزع نفوسنا استغرابا لوجود مبان منتظمة وقصور متراصة محكمة الهندسة والتنسيق لاعهد لنا بها من قبل وبرهة قصيرة تجف المياه وجفافها تزداد تلك المباني ويصبح حقل المجهر عبارة عن مجموعة من تلك القصور السحرية العجيبة التي فاقت عالم الاساطير والخرافات غرابة وكان يداً خفية قامت على تشييدها باسرع من لمح البصر ، مستعملة الشاقول والمقاييس الهندسية الدقيقة ، لأننا اينا وجهنا نظرنا لانرى الاحجرات مكعبة بمقياس واحد . مدينة من البلور تبرز امام اعيننا ، لايمكننا ان نتصور مدى صغر هذه المنازل اللامعة الجدران والتي يخترقها النور الساطع من كل مكان . ويقول احد العلماء : لنقدر ان نتمتع بجمال هذه المدينة يلزم ان نكون من الجراثيم الدقيقة التي يسع ملايين منها سم الخياط ، وكثيرا ماتتراءى هذه المباني حتى لهذه الكائنات الصغيرة كقصور شامخة تبهر الناظرين وتختلف حجومها وفق شروط مختلفة من الحرارة وانواع الاملاح وغير ذلك من الشروط . (٢)

لايقف هذا الانتظام الهندسي في التبلور عند المنظر الخارجي فحسب بل يتعدى ذلك الى البناء الداخلي الذي لايستطيع اي مجهر مهما كان مكبرا الولوج الى الباطن ، ولكن اذا مرت اشعة رونتجن الكشافة على البلور وثبتت الصورة الحاصلة على لوحة التصوير لرأينا شكلا عجبا من نقاط دقيقة اشبه بالشبك او السياج ، وهذه الدقائق الصغيرة لايقدر ان يسبر غورها المجهر . ان بلورة هذا الملح التي كشف ستر ما في باطنها الاشعة المذكورة تتشكل من اجزاء مختلفة من الكلور والصوديوم : العنصرين الاساسيين في تركيب الجسم المذكور ، بعد ان كانا محجوبين عن الاعين . في ظلمات بعضها فوق بعض ، وقد عد العلماء هذا الكشف في اوائل القرن العشرين مفخرة العلم الحديث ، لأنه اضاء جوانب الجزيء (١) بهذه الاساليب البسيطة متغلغلا في الذرة حجر البناء في المادة وتنوعاتها المختلفة ، يمكننا تقسيم دقائق هذا الملح الى اجزاء عديدة ، ولكننا نقف بالتقسيم عند حد معين ، فهذا القسم الاخير من الملح هو الجزيء وهو مشكل من ذرتي الكلور والصوديوم . وما البلور الا الشكل المنظم لترتيب الذرات ضمن الجزيء ، فمن ياترى اوعز الى المليارات من الذرات الدقيقة ان ينتظم عقدها بهذا الشكل البديع . واين هو مصدر هذه الغائية العجيبة . او لايمكننا الاعتقاد بوجود روح في عالم الجزء وعالم الذرة نفسها التي سببت هذا الانتظام في تنسيقها ، او ليس هذا دليلا على وجود ارادة مبصرة وعقل مدبر حكيم ؟

ليست فكرة الذرة بفكرة حديثة بل يرجع عهدها الى قدماء اليونان وهناك من يعتقد انها ترجع ان قدماء المصريين قد نصبوا فخاخا ذرية في مقابر الفراعنة انتقاما ممن يفتح قبورها ويهتك استارها ادت الى موت من مات دون ان يكشف العلم لذلك سببا . (٢) اما عند قدماء اليونان فأن ديموقريطس الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد فكر ان جميع الاجسام في الكون تتشكل من اجزاء فردية غير قابلة للتقسيم سميت باليونانية « آتوم Atom » ، وان هذا الجزء الفرد هو الذي يشغل الفراغ ويشكل المادة الاولى وهو غير قابل الانقسام ولا العدم . ومن الغريب ان ذلك الحكيم تمكن ان يدرك ماأقره الفن الحديث وذلك بأن الاختلافات بين العناصر هي ليست من الماهية بل حسب كبر اجزاء الفرد وحسب عدده واوضاعه وفي حركة الاجزاء حركة ائمة ، وهي التي تقرر الصيرورة والاضمحلال ، ولقد بين العلامة ديروف (استاذ الفلسفة في بون المانيا) محرر هذه الاسطوانة قرأ في كتاب ارسطوطاليس في الطبيعة ان فكرة الجزء الفرد اخذها ديموقريطس عن فيناغورس (٣) وهذا يوافق ماتواتر عن هذا الفيلسوف الاخير بأن الفرق في المادة هو من الوجهة الكمية لا الكيفية .

للهنود ايضاً نظريتهم فى الذرة لأنهم يعتقدون بأن الكون مشكل من اجزاء دقيقة لايمكن تقسيمها ولكننا لانعلم مدى قدمها لأن فكرة الجزء الفرد كانت رائجة في الهند في القرن الخامس للميلاد ، كما اشار بينيس في كتابه عن الجوهر الفرد عند علماء الكلام . ويذكر المؤلف نفسه ان من اهم براهين علماء الكلام في الاسلام على وجود الجزء الذي لايتجزأ انه ان كان ممكناً تقسيم

---

(١) ذكر هذا العالم الذي سبق لنا وأشرنا اليه في مقالنا عن الزمرد في مصر (الكتاب يوليو ٥١ في كتابه ازهار الافكار في جواهر الاحجار ص ٢٨) مايلي : ومن خواص الماس ان جميعه ذو زوايا قائمة ست زوايا او ثمان واذا كسر فلا ينكسر الا مثلثا ولو كسر على اقل الاجزاء وقد القيت عن هذا العالم في مؤتمر تاريخ العلوم الدولي الثامن ١٩٥٦ محاضرة عن كشوفه العلمية .

(٢) برودو برجل ، صورة الكون الانسان العصرى برلين ١٩٣٧ .

(١) مما يؤسف له ان العالم العربي كان غير متفق على التعابير الفنية فالجزيء في عرف العلماء المصريين هو (المولیکول Molecul) وهو في عرف العلماء السوريين « ذرة » ، والذرة في العرف المصري (آتوم Atom) ، وفي العرف السوري « جوهر » . وقد وحدت التعابير فعلاً واصبح الذرة والجزيء من التعابير المقررة .

(٢) الاديب ، ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥ ، ص ٥

(٣) بونيس نظرية الجزء الفرد في الاسلام ، برلين ١٩٣٦ ص ١١ ، ١٠٢

الجسم الى ما لانهاية له اذن لتساوت بذلك حبة الخردل والجبل .

يمكننا ان نعد مبدأ الميزان عند جابر بن حيان من ضمن النظريات الذرية فقد اشار باول كراوس بأن المبدأ الذي هو اشد اصالة عنده هو مبدأ الميزان لأن خواص الاشياء في مملكة الكيمياء قابلة للقياس ولا يكون تناسب المواد واتحادهـا الابنسب عددية ، ويضرب جابر لذلك مثلا : « اذا عاملنا المرد اسنج مع الخل وحدث تغير فلا يكون ذلك صدفة واتفاقا .. اذا كان لخواص الاشياء اساسات رياضية ونسب رياضية ونسب عددية كان لتفاعل صلاحية ووضوح وهكذا فان جابر يرى ان القياس اي النسب العددية في الاجسام والقانون الرياضي يسود الكون كله . وهذا القانون هو الذي يعطي ترتيب الاجسام وانسجامها ، وهو المفهوم المجرد لعالمنا ، فالميزان عنده رمز النظام في العالم ! ويقصد جابر كما بين عبد الرحمن بدوي في مقاله عن جابر في كتاب الالحاد في الاسلام (القاهرة ١٩٤٥ ، ص ١٩٥) : القوانين الكمية العددية التي تحكم كل شيء في الوجود وبالتالي ارجاع الظواهر الطبيعية في الوجود الى قوانين الكم والعدد .. وهي اكبر محاولة قامت في العصور الوسطى من اجل ايجاد علوم طبيعية تقوم كلها على فكرة الكم والمقدار ، المثل الاعلى الذي سعى العلماء الحديثون جهدهم الى تحقيقه .. (١)

ان مافاه به اذن كل من بروست ودالتون والذي يعد كتمهيد لفكرة الذرة الحديثة قد فاه به ايضاً جابر بن حيان الا وهو النسب العددية بين العناصر التي ادت الى اتخاذ وحدة قياسية الاوهي الايدروجين . وترجع فكرة العنصر بالمعنى العصري الى دالتون .

منذ ان وضع لافوازيه بناء على التجارب التي قام بها قانون مصونية المادة وقرر كل من دالتون وبروست قوانين الاتحاد ظن العلماء انهم ادركوا الحكمة النهائية لهذا العالم المرئي . ولكن الجد الحديث لايقف عند حـد ابدا ، والنظرية مهما كانت قوية ومتينة لايمكنها تغذية عقول البشر ابد الآبدين ودهر الداهرين في امة يسود بين ابنائها الابتكار والابداع ، وكما ظن البشر انهم سبروا غور اسرار الكون وخالوا انهم كشفوا القانون الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تجلت لهم حقائق جديدة كانوا عنها من الغافلين . وما مثل المنقب في خفايا العلم في ذلك الا كمثل سائح رأى الافق على مسافة بعيدة فجد في الوصول ، ولما وصل تراءى له افق ثان ابعد مدى منه وفي الثاني تجلى له ثالث ومن ثم رابع وخامس ... الخ . وهكذا تكون الغوامض موجودة مادام الجد والنشاط موجود . تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة مابقي .

اكتشافان هامان دلا على ان الذرة ليست آخر مايمكن تقسيمه بل تبين ايضا من خواص تلك الاجسام المشعة التي بدأ باكتشافها بكوريل في اواخر القرن التاسع عشر وبيير كورى وزوجته في اوائل القرن العشرين ودراسة طيوف الاشعة السينية للعناصر المختلفة والاشعة المهبطية وغيرها ، ان الجوهر الفرد نفسه (اي الذرة) منقسم الكهربائية من كهربائية موجبة تشكل النواة وكهارب سالبة تدور حولها ، واصبح عالم الذرة اشبه بعالم الفلك ، فالنواة هي كالشمس والكهارب هي كالكواكب التي تدور حولها وهنا صدق ماتنبأ به الاقدمون مثل ذلك العالم الكيميائي الجلدكي . (٢)

فشتان بين اثنين هذا مكوكب   يدور وهذا مركز للمراكز
وانهما عند الحكيم لواحد   لانهما من واحد متمايز
فهذا على هـذا يدور وهذه   لها مركز راس بقدرة راكز

(١) راجع كتابي « الامام الصادق ملهم الكيمياء » بغداد ١٩٥٠
(٢) السيمياء الحديثة (راجع الملاحظة التي بعدها) .

ويتفق ما اورده الجلدكي (١) بما ذكره باسكال ايضا : « سأريه في الجواهر اكوانا لانهاية لها ، لكل كون منه فلكه وسياراته وارضه وقمره على النسب التي عليها الكون المرئي نفسه . » (٢)

ان هذه الفكرة الهائلة عن النواة والكهارب في عـالم الذرة والتي ايدتها التجارب اليوم ، عليها اليوم مدار تصنيف العناصر الحديثة وانقلابها وتحطيم الذرة والحصول على قدرة هائلة منها ، لها خطورتها في عهدي الحرب والسلم . اما تشبيه الجوهر بالعالم الشمسي فقد ذكره فريد الدين العطار كما بين عبد الوهاب عزام في دراسته عن ذلك (القاهرة ١٩٤٥ ص ٧٨) : «والله تعالى في تشبيه آخر هو الشمس التي تضيء في كل مكان قلب كل ذرة». وقريب من هذا المعنى يذكر جلال الدين الرومي في المثنوي (٣) ويقول جابر في هذا الصدد في رسائله (القاهرة ١٣٥٤ هـ - ص ٢٩٠) : « فاما الجوهر عافاك الله - فهو الشيء المملوء الخلل وهو المشكل بكل صورة وفيه كل شيء واليه ينحل كل شيء ... فينبغي ان تعلم ان ذلك هو نفس جرم الفلك المنير الاعظم - سبحان خالقه وتقدست اسماؤه » .

ان الاجسام المشعة التي بينت لنا حقيقة عالم الذرة كشفت الغوامض عن حقيقة حرارة الشمس ونورها فعرف العلماء ان مصدر هـذا الاشعاع والحرارة اجسام مشعة ، والا لو كانت من اجسام مشتعلة لكان يلزم ان ينطفيء نورها وتخمد حرارتها بستة آلاف من السنين . وقد ثبت ان الطاقة التي تأتينا من الشمس والنجوم تنبعث اثناء تحول الايدروجين الى هليوم بعملية معقدة جداً . (٤)

ليست النواة في الذرة والكهارب التي تدور حولها هي آخر ماتوصل اليه العلم الحديث ، بل تبين ان هناك اجزاء اخر لكل من النواة والكهارب مثل النيوترون والبوزيترون والموزيترون وغير ذلك ، قام على البرهان على وجود كل منها علماء افذاذ امثال طومسون ورذورفورد وشاديك وبور وسومرفلد وغيرهم . واذا كنا قد استبعدنا وجود ذلك العدد الهائل من البلورات في سم الخياط واعداد الذرات في البلور ، فأن في سنتيمتر مكعب من اي غاز كان في درجة حرارة الصفر وتحت ضغط جوي واحد مايقدر بتسع وعشرين مليار مليار من الجزئيات ، والجزيء في اكثر الغازات مشكل من ذرتين ، والذرة نفسها عالم فلكي كبير ، فأي خيال اذن يصل الى آخر مايكتنف هذا العالم الصغير المـليء بالغرائب والمعجزات . ان الانقسام كما بينا لايقف عند حد ابداً وينتهي في الوقت الحاضر الى ظاهرة هي من طبيعة الكهرباء المغناطيسية التي هي في الحقيقة اليوم الاساس الهام في تفسير جميع الظواهر الطبيعية من صوت ونور وحرارة وكهرباء وغير ذلك . وعلى ذلك تكون المادة والقدرة من طبيعة واحدة ، فيصبح لمفهوم وحدة الوجود اساساً علمياً جديداً .

كان يظن حتى الى عهد اكتشاف الاجسام المشعة ان المادة ثابتة لاتتغير ولا تتبدل ، وحكموا على ان مافكر به الكيميائيون القدماء بوحدة العناصر وامكان انقلابها هو حلم لايمكن تحقيقه ولكن ثبت اخيراً ان الاورانيوم

١) السيمياء الحديثة للكواكبي ، دمشق ١٩٣٥ ص ٤٧
٢) « « (ابه موره) باريس ١٩٢٤ ص ٤٥
٣) خلاصة مثنوى ، طهران ١٣٢١ نكارش آقاى بديع الزمان ، ص ٢٠
٤) النظرية الذرية ، الطاقة الذرية ، القنبلة الذرية ، نقولا جرجس شاهين ، بيروت ١٩٤٩ ص ١٤٣ . (وهـذه هي ايضاً طريقة القنبلة الهيدروجينية ، في تحول الهيدروجين الثقيل الى هليوم)

المشع ينقلب الى راديوم وفي النهاية الى رصاص. وقد تمكن العلماء من معرفة عمر الصخور من وجود كتلة الرصاص المشتقة من الاورانيوم . وعلى مايظهر ان الاجسام المشعة كانت معروفة في عهد محمد بن احمد البيروني لانه ذكر في كتابه الجماهر في معرفة الجواهر عن الاكسير ناقدا مايلي : « ومن الخرافات فيه انه يضيء مادام في معدنه فاذا خرج لم يضيء» ، يقصد بذلك الاجسام المشعة (١)

ان عالم الجزء الفرد (كما تصوره العلماء المصريون) هو من عالم الفلك. وان مدارات الكهارب التي تدور حول النواة اشبه بمدارات الكواكب. وقد ظل العلماء مدة طويلة غير قادرين للتوغل في النواة ، لان جميع التفاعلات من فيزيائية وكيميائية انما تحصل في اقصى المدارات . اما النواة ذاتها فقد كانت حصنا حصينا ، وكما انه عن طريق الاشعاع عرف كيان الجوهر ، فمن طريقه ايضا تم الولوج الى باطن الذرة ، فالاجسام المشعة من اعجب ما اكتشفه العلماء ، لانها كانت فاتحة انقلاب عظيم قلب مفهوم المادة رأسا على عقب . ويعد روذورفورد اول غزاة النواة في عالم الذرة ، لانه قذف باشعة الفا (احدى الاشعة الثلاث المنطلقة عن الراديوم) ذرة نتروجين فتحولت معه الى اكسيجين . وبعد ذلك توفقت ايرين كورى ابنة البحاثة مارى كوري الى قلب معدن الالومنيوم الى فوسفور وبقي معها بقايا من النواة هي عبارة عن النيوترون (٢) لم تكن اشعة الفا موافقة في تحطيم الذرة فاتخذ كوكرفت باساليب مختلفة ومعقدة البروتونات نفسها المنطلقة عن النواة فحصل على نتيجة اهم (٣)

كان لكاتب هذه الاسطر حظ مشاهدة دهشة العالم المتمدن يوم كان مقيما في احدى العواصم الغربية حين انبأت ايرين كورى انها توفقت لقلب جوهر المادة وتناقلتها المجلات العلمية في اطراف العالم ، فشمر الغربيون عن ساعد الجد والعمل لغزو جديد الى النواة ولتحطيم الذرة ، اما الشرق فقد تقبل الحادث الجلل ببرودة وعدم اكتراث .

منذ ذلك الحين والتجارب تتوالى للحصول على اجسام مشعة صنعيا . ولم يتوفق العلماء الى تحطيم الذرة فحسب ، بل توفقوا الى قلبها الى طاقة وذلك بفضل جهود جبارة وطرقات معقدة جدا ، ذللوها بفضل التضافر على العمل والمساعدات الجدية من الدول المختلفة كان من نتيجتها القنبلة الذرية التي اطلقت في هروشيما وبعد ذلك في نجازاكي في اليابان والتي كانت السبب في انهاء الحرب العالمية الثانية (٤) والعالم اليوم يرقص على بركان لاندري كيف تكون نهايته .

عصرنا اليوم اذن عصر الذرة حقا وما المادة الا خزان عظيم لطاقة هائلة ، وقد كان التعريف الكلاسيكي بأنها كمية المادة الموجودة في الجسم لايفي بالحاجة ، لان جميع القوانين التي فرضت على المادة كانت لاتراعي تحولها الى طاقة ، فجميع تلك التعاريف تفرض ثبوتها وعدم تحولها ، كما وصفها لافوازية . اما اليوم فان الابحاث الذرية المتتالية تدل على فناء المادة وانقلابها الى قدرة . وقد استعيض اليوم عن قانون مصونية المادة بمصونية القدرة ، لان الاكتشافات العلمية اثبتت ان بالامكان تحويل المادة الى طاقة والطاقة الى مادة ، والقانون السائد اليوم هو التعادل بين الكتلة والطاقة . وقد تبين نظرا للحسابات النظرية النسبية بان الطاقة تعادل الكتلة مضروبة بمربع السرعة ، وقد ايدت ذلك التجارب العلمية .

نعم لقد عرف العلماء كثيراً من اسرار الذرة العميقة ، ولكن لاتزال هناك الغاز عديدة هي قيد الكتمان لانها من الاسرار الحربية التي تبذل الدول مبالغ طائلة للحصول عليها ، ان حادث اطلاق القنبلة الذرية قد روع العالم ، مما حدا باساءة الظن في العلم والكشوف الحديثة ، نظرا للضحايا البريئة التي سببتها هذه المباحث العلمية الجديدة . ولكن الذنب في ذلك ليس على العلم بل على تطبيقه ، فلا يمكننا مثلا ايقاف استخراج الحديد من مناجمه لأنه تصنع منه الخناجر التي تسبب قتل البشر ، فبذلك نمنع صناع الفؤوس والمحاريث (الادوات التي لايستغني عنها في تأمين خبز الانسان ومائه) من تناول هذا المعدن النافع مع حاجتهم اليه في صناعاتهم الضرورية. وهكذا يمكننا استخدام القدرة الكامنة في الذرة التي تدهش الانسان ، في رغده وهنائه بدلا من استخدامها في عذابه وشقائه . وعسى ان يرعوي قادة الامم في العالم عن غيهم فيسعون لحل المشاكل المعقدة لخير الانسانية جمعاء ، مستعملين منتجات العلم الحديث للانشاء والعمران بدلا من الهدم والتدمير . ولاجل اعطاء صورة عن القوى الهائلة الموجودة في تحويل المادة الى طاقة ، فأن بابادة كيلو جرام واحد من المادة تنتج طاقة تعادل ٢٥ بليون كيلوواط ساعة او مجموع ماتنتجه جميع مراكز القوي الكهربائية في الولايات المتحدة لمدة شهرين (١)

اذا كنا نعجب لشيء في بحث الذرة فأننا نعجب لامور ثلاث :

١ : للجهود الجبارة التي يبذلها علماء الغرب في استنباط المجاهيل وعن تقاعسنا نحن معشر الشرقيين في مجاراتهم في هذا الحقل مع اننا نعيش في وسط المدنية الحاضرة وتصلنا اخبار الاكتشافات بسرعة البرق ، فلا نسعى سعيا حثيثاً في تهيئة علماء افذاذ لهم قيمة عالمية يجارون علماء الغرب في كشوفهم .

٢ : لتلك النبوءات التي تنبأ بها الاقدمون من وحدة العناصر وامكان انقلابها والتشابه بين عالم الذرة وعالم الفلك .

٣ : للقدرة الكامنة في الذرة التي لايمكن ان يصل اليها خيال انسان ، او كما قال ابن سينا : (٢)

« اعلم ان في الطبيعة عجائب وللقوى العالية الفعالة والقوى السافلة المنفعلة اجتماعات على غرائب »

محمد يحيى الهاشمي
رئيس جمعية الابحاث العلمية بحلب

---

١) راجع مقال المؤلف عن اعجوبة الراديوم وعلماء العرب ، المستمع العربي ، سنة ٣ ، عدد ٦

٢) مجلة الاحاطة Die Umschau, Trank furt.ell.P. 12 1934

٣) راجع التفاعل النووي في التجارب العلمية للسير كوكروفت ، (نيسان ١٩٥٠) Nvclear reactor in xienti fic experiments , Sir Iohu Lovckroft , Endevour london 1950

٤) الذرة والقنبلة الذرية ، للدكتور علي مصطفى مشرفه بك ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ١٠ وما بعدها ، ولنفس المؤلف ، مطالعات علمية القاهرة ١٩٤٣ ص ٣٨ .

---

١) نقولا جرجس شاهين ، المصدر المتقدم ، ص ١٢٩
Gerhe Gamore , Atomie Energie in Cosmic and Human life, Cameridge 1945 . P . 1741

٢) ابن سينا ، الاشارات والتنبيهات ، ليدن ١٨٩٢ ، ص ٢٢٢

ان اعظم قنبلة هي القنبلة الكوبالتية وهي قنبلة هيدروجينية بدرع كوبالتي ولم يتجاسر احد على تجربتها نظراً للاضرار التي تحدثها ، ويقال ان كلا من روسيا السوفياتية وامريكا تملك مثل هذه القنابل .

الذين لايثقون بالشعب

بقية مانشر على الصفحة (١٥)

فحسب بل وبرهنت ايضاً على استحالة فصلها عن القيم العربيـة مهما فعلت بها الظروف ، وانها اولى معجزات العروبة .

فالقدرات العربية التي حالت الظروف الداخلية والخارجية دون ظهورها ، قد انضجتها المحن وبدأت تتـدفق في ارهب العصور واكثرها تجلياً لمطامع الاستعمار وسطوتـه وامتلاكه لجميع وسائل الدمار والافسادفهل تنكفىء ؟ لم يعد مع هـذا العصر خيار فاما الفناء أو البقـــاء . وخلود الشعب العربي لا كعرق بل كنوع ونظرة الى الحياة والانسانيـة هو الذي يدفعه الى التصدى للمعركة . لذلك فان مستوى المعركة يـدل على مدى استطاعته والقوى التي تحركه .

من هذا المعين كانت ثورة الشعب العربي في العراق لم يستطع الاستعمار ان يحول دونها لانها تستند في اتجاهـــا على منطق الشعب المنبثق من آلامه ومصائبه ونزعته الى حياة افضل ، ولم يستطع الجيل العتيق ، وليد انصاف الحلول ، وربيب الانتهازية ان يضعف من نوعيتهـا ويشوه من أصالتها لانها قامت ، منـذ اللحظة الاولى ، على الفصل بين الجماهير الثورية وبين الفئـات الحاكمة والعناصر التي لالون لها. ولهذا كانت حاسمة في الداخل فاستأصلت رؤوس العهود الماضية وحافظت بامانة على التراث الثوري ، فلم تلتق بالانتفاضات الشعبية المحليـة التي حصلت في عهود الاحتلال فحسب وانما التقت – بازالتها للاسرة الهاشمية بثورة الشعب العثمانيين . وبذلـــك عبرت عن نزوع العرب لتصفيـــة عصور الانحلال وابراز وجه قوميتهم الحقيقي .

لقد حشد الاستعمار – لاسيما بعد استقرار الثورة في القطر المصري وبروز القومية العربية في فلسفتها – حنكته كلها في في السيطرة على العراق لابعاده عن امكانية التجاوب مع هذه القومية ومضمونها التحرري . ولذلك عمل على خلق نماذج من الخونة والمنافقين والكذابين ينطقون ظاهراً بالعروبة والقومية والاسلام وينفذون عمليا خطط الاستعمار ويجهدون لخنق الحركة العربية المتحررة ، بشتى الوسائل في داخل العراق وخارجه حتى اصبحت مدرسة الخيانة في العراق قدوة لانماط في الناس وحركات منتشرة في كافة اقطار العرب ، يتنادون ويتسابقون لتبني كثير من الافكار التقدمية ثم يعملون عكس مايظهرون . واذا كانت ظروف بعض الاقطار العربية الداخلية والخارجية لم تساعد على كشف القناع بوضوح عن هذه الانماط من الناس فان الاستقرار الظاهري الذي هيأه الاستعمار وعملاؤه في العراق دفعهم الى البروز بصفاقة امام الشعب بكل خياناتهم وانتهازيتهم ونفاقهم . لقد كان الاستعمار يتحدى بهم امل العرب في وحدتهم ومستقبلهم فاذا بالذين يمثلون القومية العربية في العراق يتحدونه بازالتهم دفعة واحدة من الوجود ومحو آثارهم ، ليس من العراق فحسب وانما من بقية البلاد العربية ، ألم تروا تلاميذ تلك المدرسه يتحسسون رقابهم في كل مكان ؟.

اراد الاستعمار في ظاهر الامر ان يجعل من العراق جزءاً من السور الذي يضربه حول المعسكر الشرقي . وفي الحقيقة كان يهدف الى تضييق نطاق المد الثوري في البلاد العربية عامة من جهة والى الضغط على الاقطار التي تحررت لتزييف ثورتها اوتحويلها من جهة اخرى فربط لبنان بتركيا والعراق والاردن واسرائيل ، ومضى الاستعمار في ضغطه على سوريا ومصر قبل الوحدة وبعدها متستراً وراء هذه الدول . واذا كانت هذه الضغوط لم تزد من ارادة الثورة في الجمهورية العربية المتحدة الا مضاء وفي السير الى المستقبل الافضل الا قوة في العزيمة غير ان وجود العراق بقدراته المادية والمعنوية في زمرة تلك الدول كان ينعش الفئات الرجعيه في الجمهورية العربية المتحدة ويحيي امالها حتى وصلت الى حد المجاهرة بالتشنيع على هذه الوحدة متوارية وراء الظروف الطارئه والاحوال الآنية ، متخذة من هذه الظروف والاحوال ذريعة للطعن في اسسها .

كأن الوحدة التي تقوم على اسس ثورية يجب ان تجعل من بلاد جنة بين عشية وضحاها ومن الناس ملائكة فيها ، كما اندفعت بعض العناصر اليسارية في هذا المنزلق ، مضحية بالمستقبل البعيد المنيع في سبيل حلول سطحية تقضي المصلحة القومية بتحملها .

ولقد أهاب هـــذا الطوق الذي ضربه حولنا الاستعمار بالارادة الثورية في الجمهورية العربية المتحدة ان تجنح الى اللين

والتريث اذ كان مانعاً لعدوى القومية العربية وحامياً «للاجسام» الغريبة عن طبيعتها ومازالت تعيش فيها . فلما نجحت ثورة العراق لم ينكسر الطوق فحسب بل واصبحت القومية العربية الثائرة هي التي تضيق الخناق ليس حول اعناق العملاء والخونة والرجعية في الاقطار العربيـة الاخرى فقط ولكن حول الانتهازيين والمنافقين واذناب العملاء ومحسوبيهم في الداخل ايضاً وان لم يقتنعوا بعد ان اليوم الذي لن يبقى فيه مكان في البلاد العربية للعملاء والخونة اصبح قريباً جـــداً فانهم بدأوا على الاقل يتشككون بقدرة الاستعمار على الاستمرار طويلا في الكيد للقومية العربية .. فثورة العراق لن تقف عند حد التأثير على الوحدة العربية من حيث الحكم باعتبارها ادت الى تحرير قطر آخر من اقطار العروبة يسير على مبادىء الحياد الايجابي ويستوحي اتجاهاته من القومية العربية ولكن تأثيرها على نوعية هذه الوحدة سيكون اكثر . اذ بقيامها ونجاحها يتبدد الخوف الذي يساور جماهير الشعب الثورية من سيطرة الانتهازيين التقدميين المزيفين . فلم يعد مجال بعد ثورة العراق للحلول الوسط .

تزداد ثورة العراق اهمية اذا وضعناها في موضعها من تاريخ القضية العربية . لقد اظهر العراق استجابته لدوافع القومية العربية منذ البداية واوضح ذلك بثورته على الاتراك وعلى الانكليز معاً في اواخر الحرب العالمية الاولى . وتسكينا لهذه الثوره اصطنع الانكليز عرشا لاسرة اخفقت في ايصال الثورة العربية على الاتراك الى اهدافها الحقيقية من جهة وعجزت عن الصمود في الحجاز امام الزحف السعودي من جهة اخرى . وهكذا ابتعدت الاسرة التي يقوم كل وجودها في العالم العربي على نسبها ونيابتها عن العرب والمسلمين باسمه عن مركزها .. وحلت محلها اسرة حديثة العهد بالنسب استغلت هي الاخرى حركة تتمتع بسمعة طيبة الا انها فشلت وعجزت عن ادراك النطاق العربي العام والتعبير والاستجابة للمرحلة التاريخية ولكنها لم تكن تخلو – في نطاق ظروفها – من حوافز عربية ثورية صحيحة ، وهكذا وجد لكل من هذين القطرين كيانه المستقل وضمن الاستعمار دوام العداء بينهما وبقيت سياسة الفئات الحاكمة في اكثر البلدان العربية تـدور في فلك هذين القطرين الى ان تبنت الجماهير والعناصر الواعية الشعارات القومية وألقت بنفسها في المعركة وبدأت تخرج القضية العربية من هذه الجزئية .. فثورة العراق اليوم تضع حداً لأهمية النسب الموروث في العراق والاردن معاً وتعود بنا للشرعة العربية الخالدة الا وهي ان العمل والكفاءة فيه هما اساس كل تقدير ، فهي لم تكن ثورة على طغيان الاستعمار وانحراف الحكام بالعراق عن طريقه المستقيم وانما كانت ثورة ايضاً على مخلفـــات العصور البالية .

كانت بلاد العرب ملتقى للعالم القديم كله ثقافياً واقتصادياً . ثم اقتنصت اوربا فرصة فتمكنت من ان تحول بينها وبين الغرب ومن بعد قطعت عليها طريق الشرق ، وساعدت دول الحضارة والنور في احكام الستار الاسود حول بلاد العرب الذي رفعه العثمانيون ، حكام الدولة المظلمة ، خوفاً على انفسهم بحجة الدفاع عن الدين . واخيراً توصلت أوربا الى السيطرة والتحكم في تثقيف العرب وطرقهم الاقتصادية . واذا كان الوعي العربي في كل مكان قد استطاع ان ينبذ اسلوب التثقيف الاستعماري ويهتدي الى طبيعته الاصيلة ، واستطاعت الثورة في مصر ان تعيد الى العرب الطريق الاستعماري الذي استعمل وسيلة لتأخير العرب فان ثورة العراق في سبيل التحرر السياسي والقومي ثورة تعود بالعرب الى طرقهم التجارية الطبيعية . فالعراق الذي اراده الاستعمار سداً يمنع ماوراءه ايضاً عنا ليبقى هو وحده بوسائله التجارية واساطيله متحكماً فيه ومستفيداً منه ، ينهار اليوم وتنفتح من ورائه جميع الطرق والمنافذ التي أغلقت لافقارنا والضغط علينا .

ان ثورة العراق تفتح امام العرب افاقا لا تحد تلوح لنهايتها عودة البلاد العربية الى مركزها الطبيعي : فكريا واقتصاديا ، بين الشرق والغرب . فاذا كان معظم شعوب العالم قد اظهرت اكثر ما عندها من العمل والقول فان الشعب العربي مازال في بداية الطريق .

ذوقان قرقوط

اللغة .. والصمت

بقية مانشر على الصفحة (٢٣)

ان الكلام العام لايملك فضائل الحوار ، ذلك ان النوع الاول من الكلام يغلب عليه الطابع الاصطلاحي الخارجي اما النوع الثاني اي الحوار فهو استطالة لحياتنا النفسية وامتداد للكلام الداخلي الصامت مع انفسنا .

وفي الحوار نجد انفسنا امام هوة سحيقة مع اولئك الذين لايحرك كلامهم شيئاً من حياتنا الداخلية ، في حين اننا نصغي بكل اعماقنا لا بآذاننا فحسب لكل من يستطيـــع ان يصل بحديثه الى قلوبنا .

الكتابة

ان كل من يمسك بالريشه يرغب في خلود مايكتب وفي بقائه دوماً فالكتابة كلام غير انها بدل ان ترتبط باللحظة العابرة ترتبط بالديمومه وتتثبت ، اذن فالكتابة وسيط بين اللحظة ، والازلية ، ودور الكتابة يقدم على ابقاء الماضي وحفظه للمستقبل وعلى هذا كانت نسبة الكتابة الى الكلام كنسبة (الديمومه) الى (اللحظه) .

ان كتابة كتاب تعني ان يتعلم الكاتب كيف يكون نفسه وكيف يجدها ، وكيف يغني ارتباطاتها مع العالم ويزيدها عمقاً وقد ادرك (ديكارت) جيداً دور الكتابة عندما قال (بأنها عمل الذات قبل ان يكون مع القراء)

ان الكتابة تكشف لنا في اعماقنا عن صديق مجهول يمدنا بالالهام ويأخذ بيدنا ويرفعنا ويسعى دوماً الى ان يجعل منا اكبر مما نحن عليه . وهذا الصديق الذي يشكل الجانب الافضل من ذواتنا يتطلب منا دوماً ان نحسن الاصغاء اليه .

قد ندهش اذ لانتعرف في شخص ماعلى مؤلف الكتاب الذي قرأناه وأعجبنا به . ذلك ان الكتاب يعبر عن الجانب الداخلي الخفي من الشخصية الذي قد لاينكشف لاول وهلة في مظهر صاحب هذه الشخصية وتصرفاته المباشره ، كان الانسان كثيراً مايعبر فيما يكتب عما حرمته الحياة منه ، وعما يرغب به ، حتى ليغدو الكتاب في كثير من الاحيان تعبيراً عن حلم الكاتب اكثر منه عن الكاتب نفسه .

وفي الكتابه نماذج : فهناك نموذج من الكتاب لايتحدث سوى عن نفسه . وهو امر يثير الفضول ، غير انه فضول لايلبث ان يصاحبه شعور بالضيق بالكاتب والنقمة عليه بل والاختصار له . وهناك نموذج آخر يتناس فيه الكاتب نفسه ، غير انه يكتفي بأنه يحدثك عن نفسك ، وهو امر يولد القلق وعدمه الارتياح الداخلي ايضاً .

اما النموذج الثالث فهو الذي يدعوك الى تناسي نفسك وتناسي الكاتب ، ويفتح امامك عالماً جديداً يضعك على عتبته وهذا هو النموذج الذي نرتاح اليه .

ان من المستحسن ان يضع الكاتب نفسه فيما يكتب ، غير انه من غير الطبيعي ان يجعل الكاتب من ذاته كل مايدور حول الكتاب فالكاتب الذي لايتحدث سوى عن نفسه انما يضل يضل ذلك لكي يثير اعجابنا ، لذلك نكف عن الاصغاء له . والكاتب الذي لايتحدث الينا سوى عـــن ذواتنا انما يضع نفسه في موقف المتعالي علينا وينصب نفسه مرشداً وموجهاً يلقي علينا المواعظ والدروس ، كما انه يحاول ان يسرق مافي نفوسنا من اسرار ومافي داخلنا من امور صحيحية ،لذلك سريعاً مانعرض عنه ايضاً .

اما الكاتب الذي يتحدث لنفسه لاعنها فهو يجعلني اشعر كما لو انه يتحدث الي .

اذن فجدارة الكاتب والكتابة تقاس بمقدار مايستطيع كل منهما ان يبعث في القارىء من كوامن دفينة وان يفتح امام عينيه افاق جديدة ، وبمقدار مايثير فيه جهداً روحياً يساعده على امتلاك ذاته وعلى تحقيق هذه الذات .

ان دور الكتابة هو في ان يتقرف على اللحظات العابرة التي يشعر فيها الانسان بأنه محمول فوق ذاته لكي تدخل هـــذه اللحظات في حياته اليومية . ذلك ان في الكتابة يحاول الانسان ان ينصرف عن العالم الذي خلقه الاله ليتبنى عالماً جديداً يكون مسرحاً لحريته ومثله العليا .

القراءة

ان خلود الكتابة يتوقف على القراءة . اذ بمقدار ماتستطيع الكتابة ان تتفاعل مع نفوس القراء ، وبمقدار ماتحقق لهم من اجواء وما تكشف امامهم من آفاق ، بمقدار ماتتثبت اكثر في الديمومة .

ان الكتابة حركة من الداخل الى الخارج . اما القراءة

فعلى العكس . ان عمل الكاتب يقوم على نقل افكاره للآخرين واعطاء هذه الافكار صيغة وتعبيراً خارجياً . اما القارىء فمهمته ان يصعد من العبارة الى الفكرة .

اننا لانقرأ الكتاب نفسه ، ولا ننظـر اليه من زاوية واحدة ، ولا نستقي منه العبر والدروس ذاتها . اذ كل واحد منا يحاول ان يجعل من الكتاب مرآة يكتشف فيهاصورة له .

يجب ان نقرأ كثيراً لان القراءة تكشف لنا عن كنوز الماضي وتربط وعينا بوعي الانسانية ، غير أننا يجب ان ننتقي في مجال الكتب كما ننتقي في مجال الاصدقاء . وكما ان أعز اصدقائنا ليسوا هم بالضرورة من يمتعون بمواهب اكثر ، بل اولئك الذين يكون مجرد حضورهم امامنا باعثاً للحركة والحياة في نفوسنا ، كذلك في مجال الكتب ، فان افضلها هو مايثير فكرنا ويغذي روحنا ويطـرح امامنا المشكلات وينير لنا طريق الحل ، لاتلك التي تغلق فكرنا ضمن حدود مكونة جاهزة .

في القراءة يجب ان ينبعث كل شيء من الداخل . فلكي نقرأ جيداً يجب ان نملك فكراً متحرراً مفتوحاً ، وأن توقظ القراءة هذا الفكر ، وان تحقق نوعاً من الصداقة والالفة ، بل وحتى الاخوة مع الافكار التي تختلف عن افكارنا ، وان تكون نوعاً من المجتمع الروحي اللامرئي .

ويجب ان نعطي الكتب بقدر ماتعطينا ، فبعضها لايستأهل اكثر من نظرة عابرة ، لأنها لاتستطيع ان تدخلنا في اجواء روحية نقية صافية ، ولا تعدو كونها اقنعة تغلف فكرنا ببعض المعلومات والمعارف والمكتسبات دون ان تثير فعاليتنا الفكرية او توقظ شيئاً من داخلنا . في حين ان بعض الكتب يدعونا دوماً لقراءته من جديد ، لانه في كل مرة يكشف لنا عن جوانب خفية ويسمو بنا الى مستويات اعلى وارفع . وكما ان وجهاً نحبه ونعجب به لايكشف لنا عن اسراره كلها دفعة واحدة وتبقى ملامحه مطلة على عوالم لاتحد ، كذلك فان بعض الكتب يحتاج الى عودة بين الحين والآخر لكي ننتزع منه او لكي يعطينا من ذاته جديداً من اسراره .

ان هذا النوع من الكتب يكون دوماً باعثاً على التأمل الذاتي ، ووسيلة لانماء التجربة الشخصية وازديادها عمقاً .

وهناك انواع من القراءة : نوع يسبب لنا النعاس ، ونوع يسبب لنا المزيد من اليقظة ، ونوع يقسرنا على الانتباه .

ان النوعين الاول والاخير ، كلاهما سيء . اذ ان القراءة الجيدة ، هي التي تشعرنا بان افكار الكتاب هي ملكنا اكثر منها ملك المؤلف ، حتى لكأننا مع الكتاب بين اهلنا واصدقائنا وفي بيتنا وبلدنا ولسنا غرباء او اجانب .

ان في وسع القراءة ان تضاعف حركة الفكر ، كما يمكنها ان تحد منها وان تعطلها . لذلك يجب ان نتوقف عن القراءة في اللحظة التي نشعر فيها بان القراءة لم تعد تثير فينا شيئاً .

ان القراءة وسيلة ولا يصح ان تكون غاية ، والخطر يكمن في القراءة عندما تصبح غاية لانها عندئذ تسحق القارىء .

ان العبقرية كالحب لاتنفذ ابداً ، وهي تستأنف نشاطها وتتجاوز ذاتها باستمرار . غير ان هناك اشخاصاً فوق عبقريتهم يعملون دوماً على تنظيمها وعلى خلق الاجواء المناسبة لها . كما ان هناك اشخاصاً دون عبقريتهم يظهرون دوماً كما لو كانوا ضحايا لها .

ان الشيء الهام في الكتابة والقراءة ان تستلهم العبقرية لا أن تقسرها ، وان تثير مكامنها لا أن تغلفها ، وان تغذيها لا أن تمتصها .

ان الشيء الهام في القراءة والكتابة ان نصعد الى ينابيع الالهام وان ننطلق من نفوسنا البسيطة العميقة .

الصمت

الصمت هو الفضاء الذي يعيش فيه فكرنا . لذلك فان الكلام يخترق الصمت ، كما يخترق السهم الاجواء التي ينطلق فيها ، وكما تمخر السفينة عباب اليم . انه اقوى وابلغ من الكلام وله احياناً فعل السحر .

ان الكلام يبلغ كماله عندما يكون موحياً اكثر منه معبراً اي بقدر مايوقظ من حالات النفس ، وبقدر مايحقق بين الناس من صلات واواصر غيرمادية وغير مرئية ، وليس كالصمت وسيلة افضل لتحقيق هذه الغاية . ان في الصمت تأملا داخلياً يلجأ اليه الانسان هو اعمق واغنى واقوى من كل حوار ومن كل كلام .

قد لايستطيع الكلام ان يجسد مايجري في اعماق النفس ، لذلك فان الصمت يثقب الكلام ويعطيه القدره على الاشعاع والتسرب الى داخل الاخرين . وكما نقرأ في كتاب ما (مابين السطور) كذلك فنحن نقرأ في الكلام ماوراء الالفاظ .

ان للصمت انواعاً : فهناك صمت الانغلاق ، والحيطة ، والغضب والتهديد والضغينة ، وهناك صمت القبول والرضى والاستسلام هناك صمت التحدي وصمت العهد وصمت النظام وهناك صمت التلاشي . والفراغ . هناك صمت يحمل ثقل جميع الذكريات دون ان يفرط بواحدة منها . وصمت يزن جميع الممكنات دون ان يمارس واحدة منها .

هناك صمت ثقيل تكون اقل كلمة فيه فرجاً وخلاصاً لي ، وصمت خفيف اخشى ان امزقه .

هناك صمت الاعجاب وصمت الاحتقار ، صمت الكراهة وصمت الحب . وهناك صمت اللامبالاة وصمت الاهتمام والمشاركة . وليس المهم صمت الشفاه ، بل صمت النفس .

ان هناك نوعين متناقضين من الصمت : احدهما يشكل نقصاً وفراغاً وسلبية ؛ وآخر يشكل غنى واتساعاً وتجاوزاً .

الاول يدل على العجز والعقم وعدم الجدوى . اما الثاني فيشكل مستودعاً زاخراً بالامكانيات وينطوي على ثروة روحية تجمع قوى النفس كافة وتستقطبها .

الاول يعني الانقطاع عن الصخب والضجة والحركة . اما الثاني فتكمن فيه كل اليقظة كما انه ينطوي على حركة وصخب نفسي عميقين . الاول يعبر عن العجز عن الكلام ، اما الثاني فهو ظفر على الكلام وتجاوز له . وكما ان جميع الالوان توجد في اللون الابيض ، كذلك فان هذا النوع الثـاني من الصمت يحتوي كل الكلام . انه موسيقا النفس ودعوة الى تجاوز الظواهر والدخول الى ماوراء الحجب ، الى الحياة الداخلية والاتحـاد الصميمي والتفاهم الوجداني العميق . لذلك كان هناك نوع من القرابة بين النوع الاول من الصمت وبين (الموت) . كما ان هناك قرابة تقوم بين النوع الثاني وبين (الحياة) في اعمق معانيها

ان الاعمال الكبيرة تتم بصمت وتهز القلب قبل الاذن والفيثاغوريون وحكماء مصر في القديم كانوا يمجدون الاله بواسطة الصمت ، حتى ان الغنوصيـين كانوا يشبهون الاله بقبة من الصمت .

ان الكلام يفترض دوماً وجود مسافته بين الكائنـات يحاول الكلام ان يجتازها وان يختصرها ، غير ان وسائـل الكلام لاتكفي للتعبير عن كثير عن محتويات النفس فتبقى الفرقة ويعلن الكلام عجزه وعدم قدرته على التوحيـد بين ذاتين ، مما يترك المجال امام الصمت ، الصمت الخفي النـاعم لكي يقوم بهذا الدور .

ان الصمت قد يقضي على المظهر الخارجي للعلاقة بين شخصين ، غير انه يحيل هذه العلاقة الى صلة روحية خالصة ، والى حوار داخلي وشعور بالمشاركة عميق .

ان في الصمت منطلقاً الى ماوراء حدود الاشياء والناس وكما ان الموت يوحي رهبة وخشوعاً ، كذلـك فان الصمت يثير عواطف مماثلة ، من تهيب واحترام واجلال .

وليس المهم صمت الشفاه ، وانما المهم صمت النفس حيث كل ذرة صمت تشكل بذرة تتفتح عن ثمرة جديدة يانعة .

المسرحية في كتاب الشعر

بقلم عدنان ابن ذريل

- ٣ -

ينتقل ارسطاليس [١] الى مسألتين هامتين يعالجهما ، احداهما : مايهدف اليه الشاعر ، وما يتجنبه من بناء العقدة ، والاخرى : الوسيلة التي يبلغ بها الغاية المرجوة من المأساة . وسنبحثهما ، باديء ذي بدء ، لنميل الى الحديث في الشخصية ، والانكشاف ، والعبارة ، والفكرة .

لنضف الى ذلك ان ارسطاليس يعدد هنا ، اجزاء الكم ، في المأساة [٢] ، وهي قديمة ، لانعثر لها اليوم على مثيل [٣] .

يرى ارسطاليس ان من الضروري لتكون المأساة كاملة ، ان تكون عقدتها من النوع المركب ، لا من النوع البسيط ، وان تحاكي من الاعمال مايثير الفزع ، والشفقة ، فهذه الخصيصة هي التي تميز المحاكاة بواسطة التمثيل .

وذلك يستتبع ان يتجنب الروائي ثلاثة انواع من العقد ، الاول فيها ان لايسند الى رجل خير ، فاضل ، انقلاب الحال من السعادة الى الشقاء لان ذلك يثير الاشمئزاز اكثر مما يثير الفزع او الشفقة . والثاني ان لايسند الانقلاب العكسي ، اي التغير من الشقاء ، الى السعادة الى رجل شرير ، فذلك خروج على روح المأساة ، لايرضي فينا الشعور الانساني ، والثالث ان لايعرض على النظارة انحدار شخص سادر في الشر من حالة السعادة الى حالة الشقاء ، فمثل ذلك قد يثير فينا شعوراً انسانياً ، ولكنه لايحدث فينا شفقة ، ولا فزعاً ، فشفقتنا تثار بالنكبات التي يقاسيها من لا يستأهل ان تحل به ، وخوفنا يثار لوجود شبه بيننا ، وبين من يقاسي نكبة من النكبات ..

في مجال اختيارنا ، تبقى اذن الشخصية الواقعة بين هذه الاطراف ، اي شخصية الرجل الذي ليس فاضلا ، او عادلاً الى الدرجة القصوى ، ولا الذي ترهقه المصائب لاستبحاره في الرذيلة او الشر ، وانما شخصية رجل يتعثر لخطأ ناشيء عن الضعف الانساني . يردف ارسطاليس الى ذلك ، فيقرر انه يجب ان يكون بعيد الشهرة ، وارف الرخاء ، مقبل الجدود ، مثل اوديب ، وثيسيوس وغيرهما ، من المشهورين .

يتبين من ذلك ان العقدة يجب ان تكون مفردة حتى تكون جيدة البناء ، وان يكون تغير حظ البطل فيها من الرخاء الى الشدة ، لا العكس ، وهذا التغير يجب ان يكون نتيجة لضعف عظيم ، لا نتيجة الرذيلة ، او شر ، وان يكون الرجل كالذي وصفنا ، او ايضاً احسن ، لا اسوأ .

بناء على هذه القواعد يمتدح ارسطاليس في اوريبيدس قدرته على تأليف المأساة ، وكثير من مآسيه ينتهي نهاية تعيسة ويخطىء النقاد الذين يأخذون عليه نهجه في ذلك ، ويراه النهج السديد ، والدليل اثره العميق في الجمهور ..

يضع ارسطاليس في المرتبة الثانية ، النوع المزدوج البنية من العقد كالاوديسة ، وهو الذي ينتهي بحادثتين متكافئتين لكل من الشخصيات الخيرة ، و الشريرة ، ويرى ذلك جديراً بالملهاة ، لا المأساة ، ويردف الى ذلك ايضاً ، ان علينا ان لا نتطلب من المأساة كل نوع من اللذة ، ولكن اللذة الواقعة في نطاق فن التمثيل ، وهي الناشئة عن الفزع ، والشفقة ، وعلى الشاعر ان يحدثها بالمحاكاة ، اي ان يجعل دواعيها متوفرة في حوادث قصصه .

* * *

العمل التمثيلي ، الجدير ان يصرف الشاعر له همه ، هو الذي يحدث في دائرة عائلية ، لانه يثير الفزع ، والشفقة ، كأن يقتل الاخ أخاه ، او يهم بقتله ، او يقتل الابن اباه ، او الام ابنها ، او العكس . في حين قتل العدو عدوه ، او تدبيره قتله ، لايثير فينا اية شفقة ، او سواها ، وكذلك الحال في الحوادث التي بين

---

(١) – الثقافة – العدد الاول ، ص ٥٦ وما بعدها ، والعدد الرابع ، ص ٥٥ وما بعدها ..

(٢) – العناصر الضرورية لبناء المأساة ، او أجزاء الكيف ستة ، وهي : المشهد ، والشخصية ، والعقدة ، والعبارة ، والنغم الموسيقي ، والفكر ؛ اما اجزاء الكم ، اي الاجزاء المتميزة التي تنقسم اليها فهي : الاهلالة ، والفصول القصصية ، والقفل ، واغاني الجوقة ، والاخيرة تنقسم الى المبرة ، والغنوة العاطلة ، وقد يضاف اليها الندبة ..

(٣) – حاول اليوم الاستاذ عزيز أباظة في مسرحية شهريار اصطناع الجوقة كشخصية عاملة في المسرحية ، والاصطناع حديث ، وحر ..

صديقين ، او بين شخصين لاصداقة بينهما ، ولا عداء .

وليس يحق للشاعر ان يغير في الموضوعات التي تنوقلت مع الزمن ، بل عليه ان يبقيها كما هي : فتجعل موت كليمنسترا على يدي اورست ، واورفيلي على يدى القميون ، وعليه في حرية ان يعالجها المعالجة الصحيحة ، والطرق في ذلك عديدة .

العمل المرعب قد يقترفه مقترفه عمداً ، او اصراراً ، كما عند الشعراء القدماء ، وكما في رواية ميديا لاوريبيدس ، وهي تقتل اطفالها .

وقد يقترفه ايضاً وهو يجهل ساعتئذ الاواصر التي تربطه بمن يوقع به الاذى ، ثم ينكشف له وجه الامر فيما بعد ، كما يفعل اوديب في سوفوكليس .

وطريقة ثالثة ممكنة : يوشك شخص ان ينزل بآخر أذى فادحاً ، وهو يجهل مابينهما من علاقة ، ثم يصده عن ذلك انكشاف خارجي في الوقت المناسب .

وخير الطرق في نظر ارسطاليس طريقة الانكشاف ، التي تحول دون تنفيذ الفاعل تصميمه ، فيتجنب الجريمه ، ويكون الانكشاف مؤثراً ، ويضرب مثالاً على ذلك رواية كرسفونتس لاوريبيدس ، وفيها تتبين ميروبه وهي تهم بقتل ابنها ، انه ابنها فتتوقف عن التنفيذ ، او رواية هله ، ولايعرف مؤلفها حيث يتعرف الابن الى امه في اللحظة التي يهم فيها ان يسلمها الى الى اعدائها ، فينوب .

وأسوأها في نظرة تلك التي يغرم فيها الانسان على القيام بعمل عامداً ثم ينثني عنه ، هذا التصرف مروع ، وغير تمثيلي كما انه لايعرض حادثة مؤلمة ، ومن امثلته محاولة هيمون قتل كريون في رواية انتيجونه .

ويلي هذا النوع في الترتيب تنفيذ العمل على وجه تام بعد تدبيره ، فهو مستقبح ، ومرذول ..

* * *

تحتوي المسرحية على عنصر من الشخصية ، ان كان مايقوله الشخص ، او مايعمله يكشف عن غاية فيه [1] .

وعلى الشاعر ان يقصد في الشخصية الى اربعة أمور :

اولها وأوجهها ان تكون خيرة ، ويعتبر العنصر في الشخصية خيراً اذا كانت الغاية الخلقية التي يسعى اليها خيرة . هذا الخير في الشخصية في نظر المؤلف قد يوجد في اشخاص من كل نوع في المرأة ، وفي العبد ، مع ان المرأه أميل الى الشر ، وليس في العبد خير اطلاقاً .

المتطلب الثاني في الشخصية ان يجعل الروائي عناصرها مناسبة لصاحبها ، مثل ذلك ان الشجاعة ، والعنف من صفات الرجولة فلا يسندها الى امرأة .

والمتطلب الثالث مشابهتها الواقع ، وهي مسألة تختلف عن سابقتيها .

والرابع جعلها مطردة ثابتة ، ورغم ان تقلب بعض الشخصيات قد يكون صفة من صفاتها ، على الروائي رسم ذلك الشخص مطرداً في تقلبه ، ثابتاً عليه حتى النهاية ..

وعلى الشاعر ان يعمد في الشخصية كما في حوادث المسرحية الى ماهو ضروري ، او محتمل حتى اذا ماوقف شخص يقول او يعمل كذا ، او كيت ، كان مايقوله ، اومايعمله نتيجة ضرورية ، أومحتملة لشخصيته .

ولما كانت المأساة محاكاة لاشخاص على مستوى الرجل العادي ، فعلى الشاعر تصويرهم ، تصوير الرسامين البارعين ، في تناول الاصل بالتحسين ، فيصف خلقهم ، وصفاتهم ، وقوتهم وضعفهم ، مع مطابقة الحقيقة ، ثم يجعلهم اقرب الى الشخصية الخيرة منهم الى الشخصية الشريرة ، مثلما فعل اجـاثون ، وهوميروس حين صورا شخصية أخيل ..

* * *

سبق تعريف الانكشاف ، وانه تغير من المجهولة الى العلوم [1] ، اما اقسامه فهي :

١ ـ الانكشاف بواسطة الاشارات ، او العلامات المرئية مثل الرموز الجماعية ، او الجراحات وهذا النوع رديء لفقره في الابتكار .

٢ ـ الانكشاف العمدي بواسطة الرسائل ، والبراهين ، رديء للسبب نفسه ..

٣ ـ الانكشاف بواسطة الذاكرة ، كأن يتنبه الوعي في انسان لروية منظر معين فينكشف حاله ..

٤ ـ الانكشاف بواسطة الاستـدلال ، او الاستنتاج ، وهو جيد .

٥ ـ الانكشاف الناشيء عن الحوادث نفسها ، بواسطة حادثة محتملة ، كما في رواية اوديب لسوفوكليس ؛ وهذا النوع

(١) ـ انظر الثقافة العدد السابق المسرحية في كتاب الشعر ، ص ٥٦ .

(١) ـ المصدر السابق ، ص ٥٧ .

من الانكشافات احسنها ، لانه يتم دون عون من براهين مفتعلة ويجيء بعده الانكشاف بالاستدلال .

* * *

ينصح ارسطاليس في بناء الموضوع، وأسلوب الاخراج:
١ ـ مقاربة الحقيقة ، ونقل المناسب منها .
٢ ـ ان يعيش الشاعر عواطف ممثليه ، فيصدق في التعبير عنها .
٣ ـ الضبط العام لقصصه ، وفصوله ، واحداثه .
٤ ـ المأساة تتكون من جزأين العقدة والحل العقدة كل ما كان من مدخل القصة الى حيث يبدأ تغير الحظ في حياة البطل ، وماتبقى فهو الحل ، وعلى الشاعر احكام هاتين الناحيتين احكاماً متساوياً [١] .

ويضيف [٢] ان الجوقة يجب ان تعد بمثابة احد الاشخاص الممثلين في المسرحية ، فتكون جزءً من كل ، وشريكة في العمل ، كما هي عند سوفوكليس ، وليس كما هي عند اوريبيدس ويردف ان أغاني الجوقة عند الشعراء المتأخرين تفقد الصلة بالمأساة التي حشرت فيها ، وانها اصبحت فيها قطعاً منفصلة ، متخيلة ..

* * *

وافكار الاشخاص تظهر في كل مايدور حوله الكلام وتعبر عنه اللغة ، اي في كل جهد يبذل للبرهنه ، او النقض ، اولاثارة العاطفة ، كالشفقة ، او الفزع ، او الغضب ، وماشابهها ، اوالتعظيم والتصغير ؛ ويحيل القارىء فيها الى قواعد فن الخطابة ، لانها أمس رحماً .

والواجب ان تسير الافكار على نهج الاعمال في المسرحية وتتناسب معها ..

وبين العمل ، والفكرة فرق واحد ، هو ان العمل في المسرحية يتم تأثيره من تلقاء نفسه ، دون ان يتدخل الشاعر بشرح ، او توضيح ، بينما يعمل المتكلم على اظهار فكرته بالمظهر الذي يريده ، ويجعلها نتيجة لما يقول ..

---

(١) يذكر ارسطاليس هنا انواع المأساة يستنتجها من الاجزاء الكثيرة التي سبق ذكرها ، وهي اربعة :
المأساة المركبة ، وتعتمد على الانقلاب ، والانكشاف، المؤلمة كالروايات التي تدور حول اياسي ، واكزيون ، والمال في ذات الشخصية كرواية فتيوتيداس ، والبسيطة او ذات المناظر كرواية الفورفيدس ، وبريتيوس وكل المآسي التي تبدو مناظرها في القائم الآخر ، كتاب الشعر ص ٧١-٧٢

(٢) ينبه ارسطاليس ايضاً لى نجنب بناء المأساة على اصول الملحمة، اي على تعدد القصص فيها ..

* * *

اما العبارة فتعنى بضروب البلاغة ، وفنون القول ، كالفرق بين الامر ، والدعاء، والتقرير ، والتهديد والاستفهام، والجواب وما اشبه ذلك .

وتندرج تحتها من حيث هي كل الاقسام التالية : الحرف، والمقطع ، وحرف الربط، والفعل ، والاداة، والحالة، والكلام ويحيل القارىء في بعضها الى فنونها ، كفن الالقاء ، والعروض والصرف ، او يتحدث في بعضها الآخر ، في بلاغته ، وفنه ..

والجدير بالملاحظة ذكره المجاز ، كعادته ، في الكلمة ، فالكلمة المجازية عنده ، اي المجاز المرسل عندنا ، هي التي نقلت عن الاستعمال الحقيقي ، وكان هذا النقل من الجنس الى النوع او من النوع الى الجنس ، او من النوع الى النوع ، او بطريق القياس ، ويضرب عليها الامثله .

وكمال العبارة عنده ، ان تكون واضحة دون ان تكون مبتذلة ؛ والكلمة الغريبة ، والمجازية ، ترفع اللغة فوق مستوى الابتذال ، والكلمات المألوفة تكسبها وضوحاً، واستعمال الكلمات المزيدة ، والمنقوصة ، والمبدلة يعين على الوضوح دون نزول الى العامية في التعبير ، كما ان ابتعادها عن النوع المألوف يكسب التعبير سمواً ..

ويقترح ارسطاليس استعمال هذه الصور الشعرية من التعبير ، ويرد الاصابة في استعمال المجاز الى العبقرية ، واللقانة ونفاذ البصيرة ، على الخصوص في ادراك وجه الشبة بين اشياء غير متشابهة ، وانها الشيء العزيز الذي لايستطيع الانسان ان يتعلمه من غيره ..

★ ★ ★

وقد درس ارسطاليس الى جانب المأساة الملحمة ، وقارن بينهما ، وانتهى الى تفضيل المأساة على الملحمة .

المأساة من المحاكاة بالتمثيل على المسرح ، بينما الملحمة شعر قصصي ، المحاكاة فيه بلغة منظومة غير مصحوبة بالتمثيل .

والملحمة توافق المأساة في انها محاكاة للشخصيات، والادوار العظيمة في نظم جزل ، ولكنها تفارقها في بحرها ، وطولها ، البحر في الملحمة واحد ، هو الوزن البطولي ، افخم الاوزان واعمقها ، في عين تصطنع المأساة الوزن الايابي ، وهو مناسب للحياة ، والتمثيل ، والخبب ، وهو مناسب للرقص ، وفي مقدورها استعمال الوزن البطولي ايضاً .. اما الطول، فالمأساة

يحاول بقدر الامكان ان تقصر مداها على دورة شمسية واحدة، في حين ان نرمق الدور الملحمى غير محدود [١] ، والانسان في المأساة يقصر عمله على الدور الذي شغل المسرح ، ويقوم بـه الممثلون ، في حين ان الشكل القصصي في الملحمة يجعل المرء قادراً على وصف عدد من الموضوعات وقعت في وقت واحد ، او الاحداث ذات الصلة بالقصص [٢] . وقد كانت هذه الملاحظات نواة قاعدة الوحدات الثلاث وحده الزمان ، ووحدة المكان ، ووحدة العمل ، التي تطلبها الشعراء الغربيون المحدثون من طليان وفرنسيون ، وانكليز ..

ويرى ارسطاليس ان المأساة تتفوق على الملحمة ، في أمور عدة : الامر الاول ان في المأساة كل ما في الملحمة ، حتى لقد تجري على بحرها ، وتضيف اليه الموسيقى ، والمشاهد ، والثاني انها تؤدي التأثير حين تقرأ مثلما تحققه حين تمثل ، والثالث انها لها فضل البلوغ الى غاية المحاكاة في مدى اقصر ، والرابع ان الوحدة في المحاكاة بالملحمة اقل ، لان الملحمة تهيء مادة لعدة روايات تمثيلية ، ويضيف ان المأساة تفضل الملحمة في الغاية التي ترمي اليها ، رغم ان كلا من النوعين الشعريين يرمي الى المتعة ، والفائدة ..

— انتهى —

دمشق عدنان ابن ذريل

(١) — كتاب الشعر : ص ٣٢

(٢) — المصدر نفسه : ص ٩٢

النشاط الثقافي في الوطن العربي

● شهد شهر آب أبرز الحوادث الادبية لهذا العام ، ونعني بذلك قيام اتحاد الادباء العرب في الاقليم السوري ، فعلى أثر زيارة الدكتور يوسف ادريس ، القاص المعروف ، وموفد المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، وجمعية الادباء في الاقليم المصري ، للاقليم السوري وعلى أثر اتصاله بالجمعيات الادبية والافراد ، عقد في مديرية الانباء اجتماع ضم ممثلين عن المكتب الدائم لمؤتمر الادباء العرب ورابطة الكتاب العرب وجمعية الادباء العرب وجمعية الاصدقاء والادباء غير المنتسبين ، وقد خرج المجتمعون بقرارات أهمها : الدعوة الى اجتماع عام في النادي العربي بدمشق يدعى اليه الادباء العرب في الاقليم السوري كي يتـلى عليهم مشروع القانون الاساسي لاتحاد الادباء العرب وكي يجري انتخاب الهيئة الادارية لهذا الاتحاد . وفي مساء الاثنين ٢٥ آب ، عقد الاجتماع المرتقب ، وأقر المشروع فأصبح قانوناً بعد ملاحظات ومناقشات مفيدة ، وفاز نتيجة الانتخاب ، الاستـاذ فؤاد الشائب أميناً والدكتور ابراهيم الكيلاني والدكتور جودة الركابي والدكتور عمر النص والدكتور امجد الطرابلسي والدكتور عبد الله عبد الدائم والاستاذ سعد صائب والاستاذ احمد سليمان الاحمد والاستاذ خليل هنداوي والسيدة عزيزة هرون والاستاذ شوقي بغدادي أعضاء .

وفي السابـع والعشرين من آب قامت الهيئة الادارية لاتحاد الادباء العرب بزيارة فخامة المواطن العـربي الاول وسيادة نائب الرئيس اكرم الحوراني وسيادة نائب الرئيس صبري العسلي . ثم زاروا الاستاذ خليل مردم رئيس المجمع العلمي العربي حيث أبلغوه اجماع الهيئة العامة على انتخابه رئيساً فخرياً للاجتماع .

● جاء في مقدمة القانون الاساسي لاتحاد الادباء العرب في الاقليم السوري من الجمهورية العربية المتحدة مايلي :

رغبة في ان يؤدي الاقليم السوري رسالته في الحياة الادبية وسعياً وراء جمع شمل الادباء وتوحيد جهودهم .

يحاول بقدر الامكان ان تقصر مداها على دورة شمسية واحدة، في حين ان نرمق الدور الملحمي غير محدود [1] ، والانسان في المأساة يقصر عمله على الدور الذي شغل المسرح ، ويقوم به الممثلون ، في حين ان الشكل القصصي في الملحمة يجعل المرء قادراً على وصف عدد من الموضوعات وقعت في وقت واحد ، او الاحداث ذات الصلة بالقصص [2] . وقد كانت هذه الملاحظات نواة قاعدة الوحدات الثلاث وحده الزمان ، ووحدة المكان ، ووحدة العمل ، التي تطلبها الشعراء الغربيون المحدثون من طليان وفرنسيون ، وانكليز ..

ويرى ارسطاليس ان المأساة تتفوق على الملحمة ، في أمور عدة : الامر الاول ان في المأساة كل ما في الملحمة ، حتى لقد تجري على بحرها ، وتضيف اليه الموسيقى ، والمشاهد ، والثاني انها تؤدي التأثير حين تقرأ مثلما تحققه حين تمثل ، والثالث انها لها فضل البلوغ الى غاية المحاكاة في مدى اقصر ، والرابع ان الوحدة في المحاكاة بالملحمة اقل ، لان الملحمة تهيء مادة لعدة روايات تمثيلية ، ويضيف ان المأساة تفضل الملحمة في الغاية التي ترمي اليها ، رغم ان كلا من النوعين الشعريين يرمي الى المتعة ، والفائدة ..

— انتهى —

دمشق عدنان ابن ذريل

(١) — كتاب الشعر : ص ٣٢

(٢) — المصدر نفسه : ص ٩٢

النشاط الثقافي في الوطن العربي

● شهد شهر آب أبرز الحوادث الادبية لهذا العام ، ونعني بذلك قيام اتحاد الادباء العرب في الاقليم السوري ، فعلى أثر زيارة الدكتور يوسف ادريس ، القاص المعروف ، وموفد المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، وجمعية الادباء في الاقليم المصري ، للاقليم السوري وعلى أثر اتصاله بالجمعيات الادبية والافراد ، عقد في مديرية الانباء اجتماع ضم ممثلين عن المكتب الدائم لمؤتمر الادباء العرب ورابطة الكتاب العرب وجمعية الادباء العرب وجمعية الاصدقاء والادباء غير المنتسبين ، وقد خرج المجتمعون بمقررات أهمها : الدعوة الى اجتماع عام في النادي العربي بدمشق يدعى اليه الادباء العرب في الاقليم السوري كي يتلى عليهم مشروع القانون الاساسي لاتحاد الادباء العرب وكي يجري انتخاب الهيئة الادارية لهذا الاتحاد . وفي مساء الاثنين ٢٥ آب ، عقد الاجتماع المرتقب ، وأقر المشروع فأصبح قانوناً بعد ملاحظات ومناقشات مفيدة ، وفاز نتيجة الانتخاب ، الاستاذ فؤاد الشائب أميناً والدكتور ابراهيم الكيلاني والدكتور جودة الركابي والدكتور عمر النص والدكتور امجد الطرابلسي والدكتور عبد الله عبد الدائم والاستاذ سعد صائب والاستاذ احمد سليمان الاحمد والاستاذ خليل هنداوي والسيدة عزيزة هرون والاستاذ شوقي بغدادي أعضاء .

وفي السابع والعشرين من آب قامت الهيئة الادارية لاتحاد الادباء العرب بزيارة فخامة المواطن العربي الاول وسيادة نائب الرئيس اكرم الحوراني وسيادة نائب الرئيس صبري العسلي . ثم زاروا الاستاذ خليل مردم رئيس المجمع العلمي العربي حيث أبلغوه اجماع الهيئة العامة على انتخابه رئيساً فخرياً للاجتماع .

● جاء في مقدمة القانون الاساسي لاتحاد الادباء العرب في الاقليم السوري من الجمهورية العربية المتحدة مايلي :

رغبة في ان يؤدي الاقليم السوري رسالته في الحياة الادبية وسعياً وراء جمع شمل الادباء وتوحيد جهودهم .

واستجابة لتوصيات مؤتمر الادباء العرب في دورتيه الثانية والثالثة في بلودان والقاهرة .

فقد تأسس في الاقليم السوري اتحاد للادباء العرب يضم جميع الادباء سواء أكانوا منتسبين لهيئات ادبية او غير منتسبين ابتغاء رعاية الادب العربي وتغذيته والتجاوب مع النهضة القومية والوفاء لرسالتها الانسانية .

كما جاء في قانونه الاساسي :

المادة الاولى ـ تأسس في الاقليم السوري من الجمهورية العربية المتحدة اتحاد للأدباء باسم « اتحاد الادباء العرب في الاقليم السوري » مركزه دمشق ، يضم جميع الادباء سواء اكانوا منتسبين لجمعيات او هيئات ادبية او غير منتسبين ويعمل للاهداف التالية :

آ ـ تعزيز النشاط الادبي في الاقليم السوري ورفع مستواه .

ب ـ جمع شمل الادباء ورعايتهم وتوحيد جهودهم والدفاع عن حقوقهم وتمثيلهم .

حـ ـ توحيد الجهود وتنسيق الاعمال بين ادباء الاقليم الشمالي والاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة وتوسيع روابط التعاون في المدى العربي الشامل ، وتوثيق الصلات بين الادباء العرب في جميع اجزاء الوطن العربي الكبير والمهاجر .

د ـ تيسير سبل الانتاج تأليفاً وترجمة امام الادباء وتسهيل طرائق النشر والتوزيع .

المادة الثانية ـ يسعى الاتحاد لتحقيق اهدافه بشتى الوسائل المشروعة منها :

آ ـ اصدار مجلة ادبية ونشرات دورية ونشر الكتب .

ب ـ تأسيس ناد ادبي .

حـ ـ اقامة المهرجانات والمحاضرات والمسابقات الادبية وعقد الندوات الثقافية .

د ـ الاسهام بالمؤتمرات العربية والدولية .

هـ ـ تكوين دار للنشر والتوزيع .

● اقام مؤتمر الهيئات الشعبية بدمشق مهرجاناً خطابياً في باحة التكية السليمانية في مساء الثلاثاء ٢٦ آب ١٩٥٨ ، وذلك تضامناً مع الشعب العربي في الاردن ولبنان الشقيقين في نضالها ضد الطغيان والاستعمار وابتهاجاً بتضامن الشعوب العربية . وقد تحدث في هذا المهرجان وزير معارف الجمهورية العراقية الدكتور جابر العمر والاستاذ كمال ناصر والسيدة وداد حجار والاستاذ فؤاد جلال والاستاذ محمد الحريري .

● ظهرت بالفرنسية رواية جديدة للكاتبة الجزائرية الشابة آسيا جابر (وعمرها ٢٢ عاماً) . عنـوان الرواية « اللجوجات » وهي ثاني رواية تكتبها بعد رواية الاولى « الظمأ » ان بطلة هذه الرواية هي دليلة ، الطالبة الجزائرية الحائرة بين الافكار الجديدة وبين الحياة القاسية التي تعانيها في ظل ليلى زوجة ابيها الشابة ايضاً وأخيها البكر فريد وكلاهما وفي للتقاليد غير ان دليلة تصادف سليما ، فتجتاحها عاطفة عاصفة ويقيمان فيما بينهما اتصالاً سرياً ولكنه أفلاطوني بريء .

هذه الطبيعة الجامحة القومية الشغوفة بالاستقلال غالباً ما كانت تعرض حبها للخطر والفاجعة . وعندما يطلب سليم يد دليلة تتأزم الامور ، ذلك لان على الخطيب ان لا يتصل بخطيبته الا في يوم الزواج . ولكن الاخ يوافق على خرق التقاليد . انما الادهى من ذلك ان سليما كان العشيق السابق لزوجة الاب الشابه الجميلة .

وتمضي الرواية في تحليل عميق للنفسيات ، والتقاليد وقد حازت نجاحاً كبيراً .

● كتبت الآنسة نورس كم نقش رسالتها الجامعية لنيل شهادة اللغة العربية عن الشـاعر العراقي عبد الوهاب البيـاتي والرسالة تقع في ٦٥ صفحـة من القطع الكبـير وتقسم الى فصلين وخاتمة . وقد اشرف عليها الدكتور جودة الركابي .

● نعت ابناء بيروت الشاعر اللبناني المعروف نقولا فياض وقد توفي بالسكتة القلبية عن عمر يناهز الثمانين عاماً ، وللشاعر فياض انتاج شعري وادبي غزير كما كان استاذاً في فن الخطابة وصرحاً من صروح الادب التقليدي .

● صدرت في دمشق مجموعة اقصصية بعنوان « نافذة على الحياة » بقلم اسكندر لوقا وقد كتب مقدمتها شاكر مصطفى .